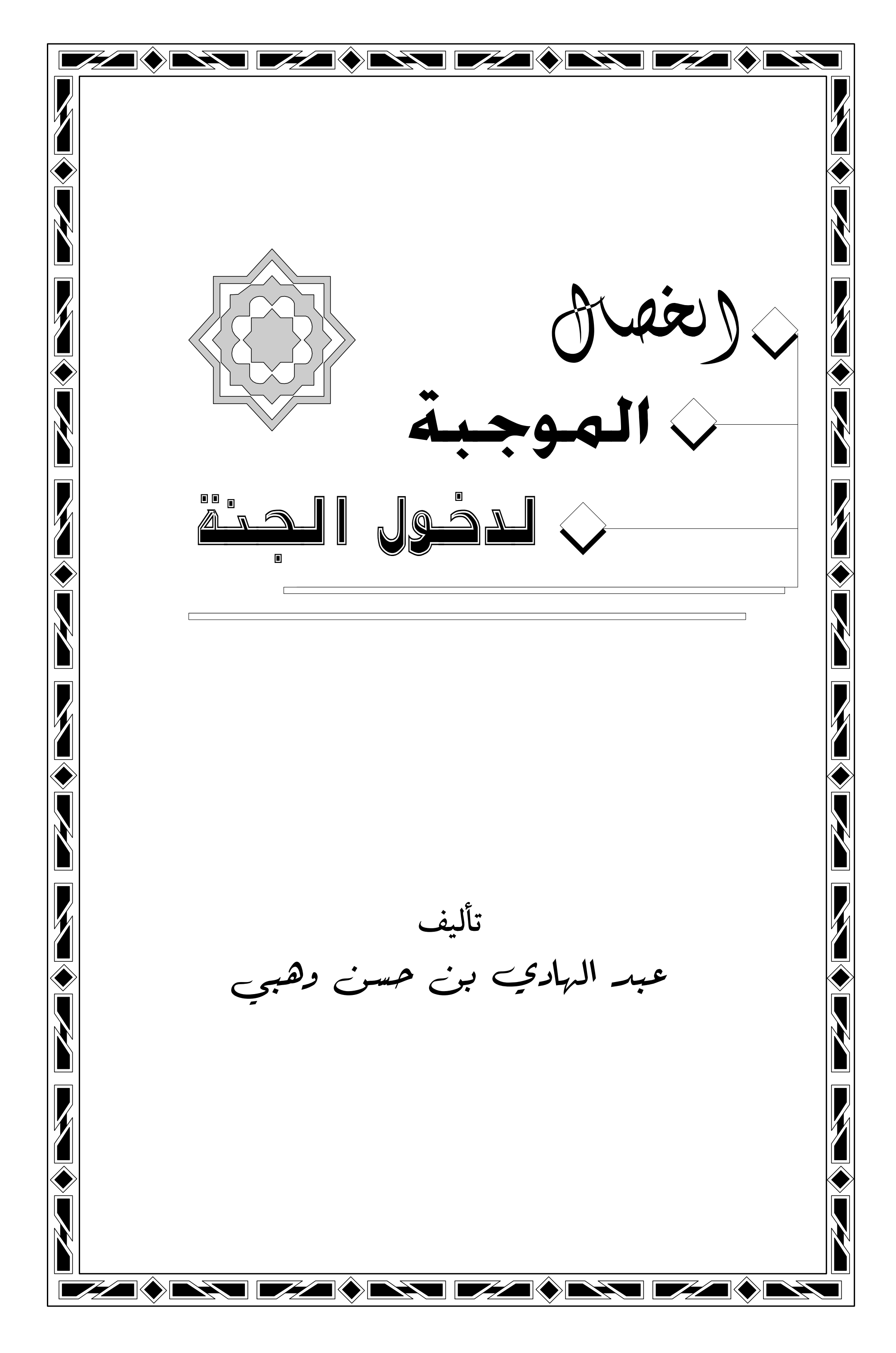
الخصال الموجبة
لدخول الجنة

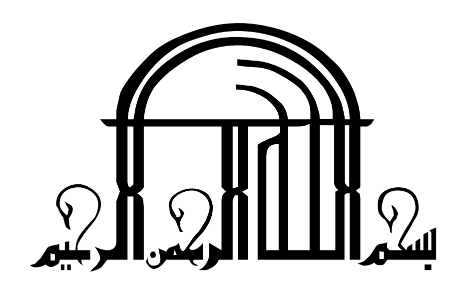
الطّبعَة الأولى
١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م



الخصال الموجبة لدخول الجنة

تأليف

عبد الهادي بن حسن وهبي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آلِ عِمرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحزَاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيرَ الكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدْيِ هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعْدُ: فَهَذِهِ خِصَالٌ مُوْجِبَةٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ، جمَعْتُهَا تَذْكِيراً بِهَا، وَحَثّاً عَلَىٰ طَلَبِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا.

فَادْخُلْ فِيْهَا بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ، وَتَدَبَّرْهَا تَدَبُّراً جَيِّداً، وَاعْرُضْهَا عَلَىٰ

نَفْسِكَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، تَظْهَرْ عَلَيْكَ فَوَائِدُهَا، وَتَعُدْ إِلَيْكَ عَوَائِدُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ، وَهُوَ المُسْتَعَانُ، وَبِيَدِهِ التَّوْفِيْقُ وَالإِحْسَانُ.

أَسْأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ أَنْ يَنفَعَنِي بِهَا في حَيَاتي، وَيُثَقِّلَ بِهَا فِي القِيَامَةِ مِيزَانَ حَسَنَاتي، وَيُكَفِّرَ بِهَا عَنِّي سَيِّئَاتي، وَيَرْفَعَ بِهَا دَرَجَاتي، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَجْمَعِينَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ. وَاللهُ المُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ، وَعَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ مَتَاب.

الراجي رِضَىٰ ٱلرَّحْمَٰنِ
عَبْدُ الهَادِي بن حَسَن وَهْبِي[(١)]

(١) بيروت ـ لبنان. ص.ب / ٦٠٩٣ ١٣ شوران.
هاتف: ٠٣/٦٢٦٧٨٧ ـ فاكس: ٠١/٧٩١٠٥١

الخصال الموجبة لدخول الجنة

❁ طَلَبُ العِلمِ ❁

١ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «...**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَىٰ الجَنَّةِ**...»[1].

أَخبَرَ النَّبيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ طَلَبَ العِلْمِ هُوَ السَّبِيْلُ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ الدَّرَجَةِ العُظْمَىٰ، وَمَنَازِلِ أَهْلِ التُّقَىٰ وَالنُّهَىٰ[2].

فَإِنَّ العِلْمَ يَدُلُّ عَلَىٰ اللهِ مِنْ أَقْرَبِ الطُّرُقِ إِلَيْهِ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَنْهُ، وَصَلَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الجَنَّةِ مِنْ أَقْرَبِ الطُّرُقِ وَأَسْهَلِهَا، فَسَهُلَتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ المُوْصِلَةُ إِلَىٰ الجَنَّةِ كُلُّهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَلا طَرِيْقَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَإِلَىٰ الوُصُوْلِ إِلَىٰ رِضْوَانِهِ، وَالفَوْزِ بِقُرْبِهِ، وَمُجَاوَرَتِهِ فِي الآخِرَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، فَهُوَ الدَّلِيْلُ عَلَيْهِ، وَبِهِ يُهْتَدَىٰ فِي ظُلُمَاتِ الجَهْلِ وَالشُّبَهِ وَالشُّكُوْكِ[3].

وَسُلُوكُ الطَّرِيقِ لالْتِمَاسِ العِلْمِ يَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الحَقِيقِيِّ، وَهُوَ المَشْيُ بِالأَقْدَامِ إِلَىٰ مَجَالِسِ العُلَمَاءِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطُّرُقِ

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) كتاب الأربعين (ص١٦٦)، للأصبهاني رحمه الله.
(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨).

المَعْنَوِيَّةِ المُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ حُصُوْلِ العِلْمِ، مِثْلُ حِفْظِهِ، وَدِرَاسَتِهِ، وَمُذَاكَرَتِهِ، وَمُطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ، وَالتَّفَهُّمِ لَهُ، وَنَحْوُ ذٰلِكَ مِنَ الطُّرُقِ المعْنَوِيَّةِ الَّتِيْ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ الْعِلْمِ.

عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»[1].

وَمَعْنىٰ الحَدِيثِ: إِذَا مَرَرْتُمْ بِحِلَقِ الذِّكْرِ فَادْخُلُوا فِيْهَا لِتَنَالُوا الأَجْرَ العَظِيْمَ وَالفَوْزَ بِجَنَّاتِ النَّعِيم، فَفِيهِ الحَثُّ عَلَىٰ الذِّكْرِ ومُشَارَكَةِ أَهْلِهِ فِيْهِ، وَإِطْلَاْقُ الذِّكْرِ هُنَا يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُذَكِّرُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، وَمُدَارَسَةِ عِلْمٍ، وَتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيْلٍ، وَنَحْوِ ذٰلِكَ[2].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو ﵄ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الجَنَّةُ**»[3].

وَفي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي طَلَبِ العِلْمِ مَا لَا يَخْفىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ، فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَنْتَهِزَ الفُرْصَةَ وَلَا سِيَّما الشَّابُّ الَّذِي يَحْفَظُ سَرِيْعاً، وَيَمْكُثُ فِي ذِهْنِهِ مَا حَفِظَهُ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُبَادِرَ الوَقْتَ وَيُبَادِرَ العِلْمَ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ مَا يَشْغَلُهُ عَنْ ذٰلِكَ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ بِأَنَّ تَعَلُّمَ العِلْمِ مِنْ أَعْظَمِ العِبَادَاتِ وَأَهَمِّهَا، فَيَجِبُ فِيْهَا النِّيَّةُ وَالإِخْلاصُ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥١٠)، وحسنه العَلَّامَةُ الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٨٧).

(٢) الفتح الرباني (١٤/ ٢٠٤)، للعلامة أحمد البنا ﵀.

(٣) رواه أحمد (٦٦٥١ و٦٧٧٧)، وحسَّنه العَلَّامَةُ الألبانيُّ ﵀ في «الصَّحيحة» (٣٣٣٥).

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ الله، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيْبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» - يَعْنِي: رِيحَهَا -[1].

وَهَذَا وَعِيْدٌ شَدِيْدٌ، وَالتَّخَلُّصُ مِنْهُ بَعِيْدٌ، إِذِ الإِخْلاصُ فِي طَلَبِ العِلْمِ عَسِيْرٌ، وَالمُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَيهِ قَلِيْلٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَليِّ العَظِيْم[2].

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا السُّنِّيُّ فِي هَذَا الكَلامِ؛ وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالىٰ لَنَا وَلَكَ الوُصُولَ إِلَىٰ الْعِلْمِ النَّافِعِ المَوْرُوْثِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، المُوْصِلِ إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ. أَدْخَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم دَارَ السَّلَامِ.

❁ إِحْصَاءُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنىٰ ❁

٢ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لله تَعَالىٰ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3].

هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ، تُنَادِي جَلالَتُهُ وَفَخَامَتُهُ وَعَظَمَتُهُ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ[4]، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ «كَنْزٍ عَظِيْمٍ مَنْ وُفِّقَ لِمَظَنَّتِهِ، وَأَحْسَنَ اسْتِخْرَاجَهُ وَاقْتِنَاءَهُ، وَأَنْفَقَ مِنْهُ، فَقَدْ غَنِمَ، وَمَنْ حُرِمَهُ فَقَدْ حُرِمَ»[5].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣١١٢).

(٢) المفهم (٦/ ٧٠١).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٦ و٦٤١٠ و٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٦٧٧).

(٥) إعلام الموقعين (١/ ٢٣٠).

ذٰلِكَ بِأَنَّ شَرَفَ العِلْم تَابِعٌ لِشَرَفِ المَعْلُوم؛ «وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَجَلَّ مَعْلُومٍ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْبَرَهُ فَهُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَالَمِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، المَوْصُوفُ بِالكَمَالِ كُلِّهِ، المُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَعَنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَتَشْبِيهٍ فِي كَمَالِهِ»[1].

فَالعِلْمُ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ أَجَلِّ العُلُوم قَدْراً، وَأَشْرَفِهَا ذُخْراً، وَأَفْضَلِهَا ذِكْراً. وَ«الاشْتِغَالُ بِفَهْمِهِ، وَالبَحْثُ التَّامُّ عَنْهُ، اشْتِغَالٌ بِأَعْلىٰ المطَالِبِ، وَحُصُولُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ أَشْرَفِ المَوَاهِبِ»[2].

وَأَسْمَاءُ اللهِ تَعَالىٰ كُلُّهَا حُسْنَىٰ، أَي: بَالِغَةٌ فِي الحُسْنِ غَايَتَهُ.

وَمِنْ حُسْنِها: أَنَّهَا «تَدُلُّ عَلَىٰ أَكْمَلِ الصِّفَاتِ وَأَعْظَمِهَا، لا نَقْصَ في شَيءٍ مِنْهَا، بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ.

وَمِنْ حُسْنِها: أَنَّ اللهَ يُحِبُّهَا، وَيُحِبُّ مَنْ يُحِبُّها، وَيُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَدْعُوهُ وَيَسْأَلُوْهُ بِهَا»[3].

وَالإِحْصَاءُ المذْكُوْرُ فِي الحَدِيثِ عَلَىٰ مَرَاتِبَ:

المَرْتَبَةُ الأُولىٰ: إِحْصَاءُ أَلفَاظِهَا وَعَدَدِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

المَرْتَبَةُ الثَّانيةُ: فَهْمُ مَعَانِيهَا وَمَدْلُولِهَا.

المَرْتَبَةُ الثَّالثةُ: دُعَاؤهُ بِهَا، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَهُوَ مَرْتَبَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: دُعَاءُ ثَنَاءٍ وَعِبَادَةٍ.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١١).
(٢) تيسير الكريم الرَّحْمَٰنِ (ص١٩).
(٣) تيسير الكريم الرَّحْمَٰنِ (ص١٢٠٤).

وَالثَّاني: دُعَاءُ طَلَبٍ وَمَسْأَلَةٍ.

أَمَّا دُعَاءُ المَسْأَلَةِ: فَهُوَ سُؤَالُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ مَطْلُوْبٍ بِمَا يُنَاسِبُ هَذَا المَطْلُوبَ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷻ. فَيَقُولُ الدَّاعِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي. اللَّهُمَّ اشْفِنِي، وَأَنْتَ الشَّافي... وَهَكَذَا.

وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الَّذِي يَمْلأُ القُلُوْبَ بِالرَّغْبَةِ وَالانْكِسَارِ بَينَ يَدَي اللهِ جَلَّ ثَنَاؤهُ، قَالَ اللهُ ﷻ فِيهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وَفي هَذِهِ الآيَةِ سَمَّىٰ اللهُ تَعَالىٰ: «دُعَاءَ المَسْأَلَةِ»: «عِبَادَةً».

وَسَمَّاهُ ـ في آيَةٍ أُخْرَىٰ: «دِيْناً»، فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

وَعَنِ النُّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠][(١)].

وَلَمْ يَرِدْ هَذَا اللَّفْظُ في أَيٍّ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الأُخْرىٰ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[(٢)].

وَهَذَا لِعِظَمِ شَأْنِهِ وَجَلالَةِ أَمْرِهِ؛ لأَنَّهُ يَجْتَمِعُ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَبُّدِ مَا لا يَجْتَمِعُ في غَيرِهِ، فَيَسْتَدْعِي حُضُورَ القَلْبِ وَعِبَادَةَ الله

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٦٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٧٠).

(٢) رواه الترمذي (٨٨٩ و٨٩٠) من حديث عبد الرَّحْمَٰنِ بن يَعْمُر رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٧٠٥ و٧٠٦).

بِالتَّوَجُّهِ، وَالقَصْدِ، وَالرَّجَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغْبَةِ فِيْمَا عِنْدَهُ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عَذَابِهِ.

وَيَسْتَدْعِي عِبَادَةَ اللِّسَانِ مِنَ اللَّهَجِ بِالتَّمْجِيدِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَالطَّلَبِ، وَالمَسْأَلَةِ، وَالابْتِهَالِ، وَالتَّضَرُّعِ.

وَيَسْتَدْعِي عِبَادَةَ البَدَنِ بِالانْكِسَارِ، وَالاسْتِكَانَةِ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعَالىٰ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَالتَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، مُسْتَغيثاً بِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ دُوْنَ سِوَاهُ، إِلَىٰ آخِرِ مَا هُنَالِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، الَّتي يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الدُّعَاءُ[1].

وَدُعَاءُ العِبَادَةِ: فَيَقْتَضي أَنْ يَتَعَبَّدَ العَبْدُ لله ﷻ بِمُقْتَضَىٰ الأَسْمَاءِ. فَتُؤَثِّرُ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ في عُبُودِيَّتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ. فَإِذَا عَلِمَ العَبْدُ بِسَمْعِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَبَصَرِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، يُثْمِرُ لَهُ حِفْظَ لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ وَخَطَرَاتِ قَلْبِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَرْضَىٰ اللهُ[2].

وَهَذَا بَابٌ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُدرَكَ[3]. مَنْ قَامَ بِحَقِّهِ «فَقَدْ تَمَّ لَهُ غِنَاهُ بِالإِلَٰهِ الحَقِّ، وَصَارَ مِنْ أَغْنَىٰ العِبَادِ، وَلِسَانُ حَالِ مِثْلِ هَذَا يَقُولُ:

غَنِيتُ بِلا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... وَإِنَّ الغَنِيَّ العَالِي عَنِ الشَّيءِ لا بِهِ»[4]

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤمِنِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَبْذُلَ مَا اسْتَطاعَ مِنْ مَقْدُورِهِ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ، وَيَجْعَلَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ أَهَمَّ المَسَائِلِ عِنْدَهُ،

---

(١) انظر: «تصحيح الدعاء» (ص١٧ ـ ١٨)، للعلامة بكر أبو زيد حفظه الله.
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٣).
(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٦٢).
(٤) طريق الهجرتين (ص٧٩).

وَأَوْلَاهَا بِالإِيثَارِ، وَأَحَقَّهَا بِالتَّحْقِيقِ، لِيَفُوْزَ مِنَ الخَيرِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ[1].

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا المَوْضِعَ وَتَفَقَّهَ فِيهِ، عَلِمَ شِدَّةَ الحَاجَةِ إِلَيهِ، وَعِظَمَ الانْتِفَاعِ بِهِ[2].

فَنَسْأَلُهُ تَعَالىٰ أَنْ يَمُنَّ عَلَينَا بِمَعْرِفَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالإِنَابَةِ إِلَيهِ.

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ الله ـ بِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالىٰ لَيْسَتْ مَحْصُورَةً بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ.

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُوْرَ صَدْرِي، وَجِلَاْءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً**». فَقِيْلَ: يَا رَسُولَ الله! أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»[3].

فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ**» دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ أَسْمَاءَهُ أَكْثَرُ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، وَأَنَّ لَهُ أَسْماءً وَصِفَاتٍ اسْتَأْثَرَ بِهَا فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَهُ، لا يَعْلَمُهَا غَيرُهُ[4].

فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ للهِ تَعَالىٰ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً،**

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العلامة السعدي رحمه الله (١/ ٨٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص٣٠١).

(٣) رواه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان في «الإحسان» (٩٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩). وصححه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (١٩٩).

(٤) شفاء العليل (٢/ ٧٥٨).

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، فَلا يَدُلُّ عَلَىٰ حَصْرِ الأَسْماءِ بِهَذَا العَدَدِ. وَلَوْ كَانَ المُرَادُ الحَصْرَ؛ لَكَانَتِ العِبَارَةُ: «إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» أَوْ نَحْوَ ذٰلِكَ.

إِذاً فَمَعْنىٰ الحَدِيثِ: أَنَّ هَذَا العَدَدَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّ مَنْ أَحْصَاهُ دَخَلَ الجَنَّةَ.

وَعَلىٰ هَذَا: فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» جُمْلَةً مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا، وَلَيْسَتْ مُسْتَقِلَّةً. وَنَظِيرُ هَذَا أَنْ تَقُوْلَ: عِنْدِي مِائةُ دِرْهَم أَعْدَدْتُهَا لِلْصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّهُ لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُوْنَ عِنْدَكَ دَرَاهِمُ أُخْرَىٰ لَمْ تُعِدَّهَا لِلصَّدَقَةِ.

وَلَمْ يَصِحَّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ تَعْيينُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ، وَالحَدِيْثُ المَرْوِيُّ عَنْهُ في تَعْيِينِهَا ضَعِيفٌ[1].

وَهَذَا القَدْرُ الَّذِي حَرَّرْنَاهُ، فِيهِ مَقْنَعٌ وَبَلاغٌ لِقُوم يَعْقِلُونَ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيهِ المُنْتَهَىٰ وَالمآبُ[2]، وَعَلَيهِ قَصْدُ السَّبِيْلِ. وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

۞ الإِخْلَاصُ فِي التَّوْحِيدِ ۞

٣ عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3].

---

(١) القواعد المثلىٰ (ص٣٦ ـ ٣٨)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تحقيق: أشرف عبد المقصود.

(٢) السراج الوهاج (١٠/ ٣٢٥).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٣٦) (٢٢١٩٥)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «الصَّحيحة» (٢٣٥٥).

قَوْلُهُ: «**مُخْلِصاً**»: أَي سَالِماً مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، فَلا يَشُوبُهَا رِيَاءٌ وَلَا سُمْعَةٌ، بَلْ هِيَ شَهَادَةُ يَقِيْنٍ.

قَوْلُهُ: «**مِنْ قَلْبِهِ**»، لِأَنَّ المَدَارَ عَلَىٰ القَلْبِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «... **أَلا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[١].

وَمَنْ قَالَ كَلِمَةَ الإِخْلاصِ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، فَلا بُدَّ أَنْ يَطْلُبَ رِضَىٰ هَذَا المَعْبُودِ بِاتِّبَاعِ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي[٢]. لَا بُدَّ مِنْ أَعْمَالٍ يَتَعَبَّدُ بِهَا الإِنْسَانُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣].

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ بِأَنَّ الإِخْلاصَ يَنْفِي أَسْبَابَ دُخُولِ النَّارِ؛ فَمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ القَائِلِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَمْ يُحَقِّقْ إِخْلاصَهَا المُحَرِّمَ لَهُ عَلَىٰ النَّارِ؛ بَلْ كَانَ فِي قَلْبِهِ نَوعٌ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي أَوْقَعَهُ فِيمَا أَدْخَلَهُ النَّارَ. وَالشِّرْكُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيْبِ النَّمْلِ، وَقَدْ يَتَطَرَّقُ فِي أَفْعَالِ القُلُوبِ، وَالجَوَارِحِ، وَالأَعْمَالِ، وَالنِّيَّاتِ؛ بِحَيثُ لَا يَشْعُرُ بِهِ، وَلَا يَدْرِي، وَهَذا مَقَامٌ يَنْبَغِي لِلْمُؤمِنِينَ التَّدَبُّرُ فِيهِ.

عَنْ أَبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْم فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ: وَكَيفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً**

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٢ و٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣٣).

نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»[1].

وَالشِّرْكُ الخَفِيُّ لَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ، مِثْلُ: أَنْ يُحِبَّ شَيْئاً مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ، أَوْ يَكْرَهَ شَيْئاً مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ «فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ نَقْصٌ فِي تَوْحِيدِ المَحَبَّةِ للهِ، وَهُوَ دَلِيْلٌ عَلَىٰ نَقْصِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالىٰ؛ إِذْ لَوْ كَمُلَتْ مَحَبَّتُهُ، لَمْ يُحِبَّ سِوَاهُ... وَكُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّةُ العَبْدِ لِمَوْلاهُ، صَغُرَتْ عِنْدَهُ المَحْبُوبَاتُ وَقَلَّتْ، وَكُلَّمَا ضَعُفَتْ، كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ وَانْتَشَرَتْ. وَكَذَا الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ، فَإِنْ كَمُلَ خَوْفُ العَبْدِ مِنْ رَبِّهِ لَمْ يَخَفْ شَيْئاً سِوَاهُ، قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩]؛ وَإِذَا نَقَصَ خَوْفُهُ خَافَ مِنَ المَخْلُوْقِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ نَقْصِ الخَوْفِ وَزِيَادَتِهِ، يَكُونُ الخَوفُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي المَحَبَّةِ، وَكَذا الرَّجَاءُ وَغَيْرُهُ. فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالىٰ... وَطَرِيْقُ التَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الآفَاتِ كُلِّهَا: الإِخْلاصُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

وَ«الإِخْلاصُ صَعْبٌ جِدّاً، إِلَّا أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُتَّجِهاً إِلَىٰ اللهِ اتِّجَاهاً صَادِقاً سَلِيماً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَإِنَّ الله يُعِينُهُ عَلَيْهِ، وَيُيَسِّرُهُ لَهُ»[3].

٤ عَنْ عِتْبَانَ بنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «... **فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[4].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٣) (١٩٦٦١)، وحسَّنه الألباني ﵀ فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٩٣ ـ ٩٤).

(٣) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ١١٩).

(٤) رواه البخاري (٤٢٥ و١١٨٦ و٥٤٠١ و٦٤٢٣ و٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣) و[بعد الحديث (٦٥٧)].

وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ، نَسْأَلُ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلا ـ أَنْ يجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ[1].

وَ«المُرَادُ بِالقَوْلِ هُنَا: القَوْلُ الَّذِي مَعَهُ تمَامُ الشُّرُوطِ؛ كَقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»، يَعْنِي: إِذَا أَتىٰ بِبَقِيَّةِ الأَرْكَانِ وَالوَاجِبَاتِ، فَيَكُونُ مَعْنىٰ قَوْلِهِ هُنَا: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا الله**» يَعْني بِاجْتِمَاعِ شُرُوطِهَا، وَبِالإِتْيَانِ بِلازِمِهَا»[2].

وَمَنْ طَلَبَ وَجْهاً، فَلا بُدَّ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ مَا فِي وِسْعِهِ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ مُبْتَغِي الشَّيءِ يَسْعَىٰ فِي الوُصُولِ إِلَيهِ. فَالحَدِيْثُ وَاضِحُ الدِّلالَةِ عَلَىٰ شَرْطِيَّةِ العَمَلِ لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يَبْتَغِي وَجْهَ الله.

وَإِنَّ المبْتَغِي لَا بُدَّ أَنْ يُكَمِّلَ وَسَائِلَ البُغْيَةِ، وَإِذَا أَكْمَلَهَا حُرِّمَتْ عَلَيهِ النَّارُ تَحْرِيماً مُطْلَقاً، فَإِذا أَتىٰ بِالحَسَنَاتِ عَلَىٰ الوَجْهِ الأَكْمَلِ، فَإِنَّ النَّارَ تَحْرُمُ عَلَيْهِ تَحْرِيماً مُطْلَقاً، وَإِنْ أَتىٰ بِشَيءٍ نَاقِصٍ، فَإِنَّ الابْتِغَاءَ فِيهِ نَقْصٌ، فَيَكُونُ تَحْرِيمُ النَّارِ عَلَيهِ فِيْهِ نَقْصٌ، لَكِنْ يَمْنَعُهُ مَا مَعَهُ مِنَ التَّوحِيدِ مِنَ الخُلُودِ في النَّارِ، وَكَذَا مَنْ زَنَىٰ، أَوْ شَرِبَ الخَمْرَ، أَوْ سَرَقَ. فَإِذا فَعَلَ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَعَلَهُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا الله أَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ الله، فَهُوَ كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ لِأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**لا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤمِنٌ**»[3]، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ مُبْتَغِياً وَجْهَ الله[4].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢٧)، لصاحب المعالي العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ حفظه الله.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢٧).

(٣) رواه البخاري (٢٤٧٥ و٥٥٧٨ و٦٧٧٢ و٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (ص٧٤).

قَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: وَلَيسَ التَّوحِيدُ مُجَرَّدَ إِقْرَارِ العَبْدِ بِأَنَّهُ لا خَالِقَ إِلَّا الله، وَأَنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكُهُ، كَمَا كَانَ عُبَّادُ الأَصْنَامِ مُقِرِّينَ بِذَلِكَ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، بَلِ التَّوحِيدُ يَتَضَمَّنُ ـ مِنْ محبَّةِ الله، وَالخُضُوعِ لَهُ، وَالذُّلِّ لَهُ، وَكَمَالِ الانْقِيَادِ لِطَاعَتِهِ، وَإِخْلاصِ العِبَادَةِ لَهُ، وَإِرَادَةِ وَجْهِهِ الأَعْلَىٰ بِجَمِيعِ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ، وَالمَنْعِ، وَالعَطَاءِ، وَالحُبِّ، وَالبُغْضِ ـ: مَا يحولُ بَينَ صَاحِبِهِ وَبَينَ الأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَىٰ المعَاصِي، وَالإِصْرَارِ عَلَيهَا، وَمَنْ عَرَفَ هَذَا عَرَفَ قَولَ النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يَبْتَغِي بِذَلك وَجْهَ الله**»[1].

وَبِهَذَا التَّقْرِيرِ يَنْدَفِعُ مَا أَوْهَمَهُ ظَاهِرُ الأَخْبَارِ مِنْ مَنْعِ دُخُولِ كُلِّ مَنْ نَطَقَ بالشَّهَادَتَينِ النَّارَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الفُجَّارِ.

«فَتَدَبَّرْ وَتَذَكَّرْ وَتَنَبَّهْ، وَفَّقَني الله تَعَالىٰ وَإِيَّاكَ لمرْضَاتِهِ»[2].

❁ الصِّدق في التوحيد ❁

٥ عَنْ أَبي مُوسىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، صَادِقاً بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[3].

إِنَّ تَحَقُّقَ القَلْبِ بِمَعْنىٰ «**لا إِلَهَ إِلَّا الله**» وَصِدْقَهُ فيها، وَإِخْلاصَهُ بِهَا، يَقْتَضِي أَنْ يَرْسَخَ فِيْهِ تَأَلُّهُ اللهِ وَحْدَهُ، إِجْلالاً، وَهَيْبَةً، وَمَخَافَةً، وَرَجَاءً، وَتَعْظِيماً، وَتَوَكُّلاً؛ وَيَمْتَلِئَ بِذَلِكَ، وَيَنْتَفِيَ عَنْهُ تَأَلُّهُ مَا سِوَاهُ مِنَ المَخْلُوقِينَ. وَمَتَىٰ كَانَ كَذَلِكَ[4]، لَمْ تَنْبَعِثْ جَوَارِحُهُ إِلَّا بِطَاعَةِ الله،

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(٢) مفتاح الجنة (ص٣١).

(٣) رواه أحمد (١٩٦٥١ و١٩٧٤٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٧١٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٥٢٤).

وَإِنَّمَا تَنْشَأُ الذُّنُوبُ مِنْ مَحَبَّةِ ما يَكْرَهُهُ اللهُ، أَوْ كَرَاهَةِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَذَلِكَ يَنْشَأُ مِنْ تَقْدِيم هَوَىٰ النَّفْسِ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ، وَذَلِكَ يَقْدَحُ فِي كَمَالِ التَّوحِيْدِ الوَاجِبِ، فَيَقَعُ العَبْدُ بِسَبَبِ ذٰلِكَ فِي التَّفْرِيْطِ فِي بَعْضِ الوَاجِبَاتِ، أَوِ ارْتِكَابِ بَعْضِ المحْظُوْرَاتِ. فَأَمَّا مَنْ تحَقَّقَ قَلْبُهُ بِتَوْحِيْدِ الله، فَلا يَبْقَىٰ لَهُ هَمٌّ إِلَّا فِي الله، وَفِيمَا يُرْضِيهِ بِهِ[1].

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّهُ لا يَصِحُّ تحْقِيقُ مَعْنىٰ قَوْلِ: لا إِلهَ إِلَّا الله، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ في قَلْبِهِ إِصْرَارٌ عَلَىٰ محبَّةِ مَا يَكْرَهُهُ الله، وَلا عَلَىٰ إِرَادَةِ مَا لا يُرِيْدُهُ الله، وَمَتَىٰ كَانَ في القَلْبِ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ ذٰلِكَ نَقْصاً في التَّوحِيدِ، وَهوَ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ الخَفِيِّ[2].

وَمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، فَلِقِلَّةِ صِدْقِهِ فِي قَوْلِهَا، فَإِنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ إِذَا صَدَقَتْ، طَهَّرَتْ مِنَ القَلْبِ كُلَّ مَا سِوىٰ الله، فَمَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِهِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»، لَمْ يحِبَّ سِواهُ، وَلَمْ يَرْجُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَمْ يخْشَ أَحداً إِلَّا الله، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ إِلَّا عَلَىٰ الله، وَلَمْ تَبْقَ لَهُ بقيَّةٌ مِنْ آثَارِ نَفْسِهِ وَهَوَاه، وَمَتَىٰ بَقِيَ فِي القَلْبِ أَثَرٌ لسِوىٰ الله، فَمِنْ قِلَّةِ الصِّدْقِ فِي قَوْلِهَا[3].

وَمَعَ هَذَا فَلا تَظُنُّوا أَنَّ المُحِبَّ مُطَالَبٌ بِالعِصْمَةِ، وَإِنَّما مُطَالَبٌ كُلَّمَا زَلَّ أَنْ يَتَلافىٰ تِلْكَ الوَصْمَةَ[4].

۞ المَوْتُ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ ۞

٦ عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرَ**

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨).
(٢) المصدر السابق (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥).
(٣) المصدر السابق (١/ ٥٢٦).
(٤) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص٥١)، لابن رجب رحمه الله.

كَلامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

وَالحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ نَجَاةِ مَنْ كَانَ آخِرَ قَوْلِهِ: لا إِلَٰهَ إِلَّا الله مِنَ النَّارِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ لِدُخُولِ الجنَّةِ[2].

فَإِنَّ المحْتَضِرَ لَا يَكَادُ يَقُولُهَا إِلَّا بِإِخْلاصٍ، وَتَوبَةٍ، وَنَدَمٍ عَلَىٰ ما مَضَىٰ، وَعَزْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَىٰ مِثْلِهِ[3].

وَهَذِهِ فَضِيْلَةٌ جَلِيْلَةٌ، وَمَكْرُمَةٌ نَبِيلَةٌ، وَنِعْمَةٌ عَظِيْمَةٌ، لَا تُسَاوِيهَا نِعْمَةٌ.

وَلأَجْلِ هَذَا كَانَ جَدِيراً بِالعَاقِلِ أَنْ يُلْزِمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ذِكْرَ الله حَيثُما كَانَ، لأَجْلِ تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتي إِنْ فَاتَتْ شَقِيَ شَقَاوَةَ الأَبَدِ[4].

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا عَلَىٰ إِخْلاصِ التَّوحِيدِ، وَأَمِتْنَا عَلَىٰ صَالِحِ العَمَلِ، فَإِنَّ الاعْتِبَارَ بِالخَوَاتِيمِ[5].

٧ عَنْ عُثْمانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَلَ الجَنَّةَ»**[6].

قَالَ ابْنُ القَيِّم رحمه الله: وَرُوْحُ هَذِهِ الكَلِمَةِ وَسِرُّهَا: إِفْرَادُ الرَّبِّ ـ جَلَّ ثَنَاؤهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤهُ، وَتَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالىٰ جَدُّهُ، وَلَا إِلَٰهَ غَيرُهُ ـ بِالمحَبَّةِ وَالإِجْلالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَتَوَابعِ ذٰلِكَ مِنَ التَّوَكُّلِ

---

(١) رواه أبو داود (٣١١٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٧٣).

(٢) نيل الأوطار (٤/ ٢٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٧).

(٤) طريق الهجرتين (ص٥٤٦).

(٥) الدين الخالص (٣/ ١٤٧).

(٦) رواه مسلم (٢٦).

وَالإِنَابَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، فَلا يُحِبُّ سِوَاهُ، وَكُلُّ ما يُحِبُّ غَيرَهُ فَإِنَّما يُحِبُّ تَبعاً لمَحَبَّتِهِ، وَكَونِهِ وَسِيلَةً إِلَىٰ زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ، وَلَا يَخَافُ سِوَاهُ، وَلَا يَرْجُو سِوَاهُ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيهِ، وَلَا يَرْغَبُ إِلَّا إِلَيهِ، وَلَا يَرْهَبُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَحْلِفُ إِلَّا باسْمِهِ، وَلَا يَنْذِرُ إِلَّا لهُ، وَلَا يُتَابُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُطَاعُ إِلَّا أَمْرُهُ، وَلَا يُتَحَسَّبُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُسْتَعَانُ فِي الشَّدَائِدِ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُلْتَجأُ إِلَّا إِلَيهِ، وَلَا يُسْجَدُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُذْبَحُ إِلَّا لَهُ وَباسْمِهِ، وَيَجتَمِعُ ذٰلِكَ كُلُّهُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ بِجَمِيْعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ؛ فَهَذَا هُوَ تحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله(١).

فَحَقِيْقٌ لمنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَأَحبَّ سَعَادَتَها، وَنَجاتَهَا: أَنْ يَتَيَقَّظَ لهَذِهِ المسْأَلَةِ، وَتَكُونَ أَهَمَّ الأَشْيَاءِ عِنْدَهُ، وَأَجلَّ عُلُومِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَإِنَّ الشَّأْنَ كُلَّهُ فِيْهَا، وَالمدَارَ عَلَيْها، وَالسُّؤالَ عَنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَأَمْرٌ هَذَا شَأنُهُ، حَقِيْقٌ أَنْ يُعَضَّ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَيُجعَلَ هُوَ المطْلُوبَ الأَعْظَمَ، وَالله المسْؤولُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِتَحْقِيقِ ذٰلِكَ، عِلْماً وَعَملاً وَحَالاً، وَنَعُوذُ بِالله أَنْ يَكُوْنَ حَظُّنَا مِنْ ذٰلِكَ، مجرَّدَ حِكَايَتِهِ(٢).

نَسْأَلُ الله أَنْ يُحْسِنَ لنَا وَلَكُمُ الخَاتِمَةَ وَيَتَوَفَّانَا عَلَىٰ الإِيمَانِ وَالتَّوحِيدِ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا. إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ(٣).

٨ عَنْ جَابرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، دَخَلَ الجَنَّةَ. وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، دَخَلَ النَّارَ**»(٤).

---

(١) الداء والدواء (ص٣٠١).

(٢) الدرر السنية (٢/ ٣٢٣).

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٧٥)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٤) رواه مسلم (٩٣).

قَوْلُهُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ**»: أَي مَنْ مَاتَ.

قَوْلُهُ: «**شَيْئاً**» نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفي تُفِيْدُ العُمُومَ، أَيْ: لَا شِرْكاً أَصْغَرَ، وَلَا أَكْبَرَ. وَهَذَا قَيْدٌ عَظِيْمٌ قَدْ يَتَهَاوَنُ بِهِ الإِنْسَانُ[١].

إِنَّهَا وَالله لَنِعْمَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَمِنَّةٌ جَسِيْمَةٌ، أَنْ يَمُوتَ العَبْدُ عَلَىٰ التَّوحِيدِ الخَالِصِ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئاً.

فَمَنْ «مَاتَ عَلَىٰ التَّوحِيدِ فَدُخُولُهُ الجنَّةَ مَقْطُوعٌ بِهِ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ كَبِيرَةٍ وَمَاتَ مُصِرّاً عَلَيْهَا فَهُوَ تحْتَ مَشِيئَةِ الله، فَإِنْ عَفَا اللهُ عَنْهُ دَخَلَهَا أَولاً، وَإِلَّا عُذِّبَ في النَّارِ، ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ.

وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَلَا يَنَالُهُ مِنَ الله رَحمَةٌ، وَيُخَلَّدُ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَانَ شِرْكاً أَصْغَرَ دَخَلَ النَّارَ ـ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ حَسَنَاتٌ رَاجِحَةٌ ـ لَكِنْ لَا يخَلَّدُ فِيْهَا»[٢].

فَالشِّرْكُ أَمْرُهُ صَعْبٌ جِدّاً لَيْسَ بِالهَيِّنِ[٣]، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ وُفِّقَ لِلصَّبْرِ وَالتَّأيِيدِ، وَالفِعْلِ الحَمِيدِ، وَالقَوْلِ السَّدِيدِ، وَخَالَطَ قَلْبَهُ[٤] التَّوحِيْدُ.

فَإنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذي عَظِيْمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لا أَخَالُكَ نَاجِياً

وَلَيْسَ المرَادُ مِنْ هَذَا الكَلامِ إِلَّا التَّنْبِيهَ وَالتَّحْذيرَ، لمنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَو أَلقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

---

(١) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ٧٧).

(٢) الملخص فِي شرح كتاب التوحيد (ص٤٩ ـ ٥٠)، للعلامة صالح الفوزان حفظه الرحمٰن.

(٣) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ١١٩).

(٤) الدرر السنية (٢/ ٢٧٥).

«وَفَّقَنَا الله لِصَالِحِ الأَعْمَالِ، وَأَلهَمَنَا رُشْدَنا فِي جميعِ الأَحْوَالِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ، آمين»[1].

۞ الموت عَلَىٰ عملٍ صالح ۞

٩ عَنْ حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ صَدْري فَقَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوماً ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

قَوْلُهُ: «**ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله**» أَيْ: تَقْصِدُ بِهِ وَجْهَ الله عَزَّ وَجَلَّ، بِدُخُولِكَ الجَنَّةَ وَرُؤيَتِهِ فِيهَا.

لأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ ـ جَعَلَني الله وَإِيَّاكُم مِنْهُمْ ـ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالى وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عِيَاناً، كَمَا يَرَونَ الشَّمْسَ صَحْواً لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدْرِ. يَعْنِي أَنَّهُم يَرَوْنَ ذٰلِكَ حَقّاً[3].

وَفي هَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ الإِخْلاصِ لله عَزَّ وَجَلَّ في العَمَلِ، وَأَنَّ الإِخْلاصَ عَلَيهِ مَدَارٌ كَبيرٌ في قَبُولِ العَمَلِ[4]، وَزِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ وَالرِّفْعَةِ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ[5].

وَاعْلَمْ بِأَنَّ عَقَبَةَ الإِخْلاصِ عَقَبَةٌ كَؤُودٌ، وَلَكِنْ بِهَا يُنَالُ المطْلُوبُ

---

(١) نصيحة أهل الإسلام (ص٦١).
(٢) رواه أحمد (٢٣٤٣١)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٥).
(٣) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٢٩).
(٤) المصدر السابق (١/ ٥٣).
(٥) المصدر السابق (١/ ٣٩)

وَالمقْصُودُ. نَفْعُهَا كَبِيرٌ، وَقَطْعُهَا شَدِيدٌ، وَخَطَرُهَا عَظِيمٌ.

«وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِجمَاعُ الأُمَّةِ عَلَىٰ اشْتِرَاطِ الإِخْلاصِ للأَعْمَالِ، وَالأَقْوَالِ الدِّينيَّةِ، وَأَنَّ الله لَا يَقْبَلُ مِنْهَا، إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ؛ وَلهذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يجتَهِدُونَ غَايَةَ الاجْتِهَادِ، فِي تَصْحِيْح نِيَّاتِهِم، وَيَرَوْنَ الإِخْلاصَ أَعَزَّ الأَشْياءِ، وَأَشَقَّهَا عَلَىٰ النَّفْسِ، وَذٰلِكَ لمعْرِفَتِهِم بِالله، وَمَا يجِبُ لَهُ، وَبِعِلَلِ الأَعْمَالِ وَآفَاتِهَا؛ وَلَا يَهُمُّهُمُ العَمَلُ، لسُهُولَتِهِ عَلَيهِم؛ وَإِنَّما يَهُمُّهُم سَلامَةُ العَمَلِ، وَخُلُوصُهُ مِنَ الشَّوَائِبِ، المُبْطِلَةِ لِثَوَابِهِ، وَالمُنْقِصَةِ لَهُ»[1].

فَلِذٰلِكَ يجِبُ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يُخلِصَ أَعْمَالَهُ لله، وَأَنْ يَبْتَعِدَ كُلَّ البُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَأَنْ يُخفِيَ أَعْمَالَهُ بَينَهُ وَبَينَ الله مَا اسْتَطَاعَ[2]، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ**»[3].

أَمَّا الأَعْمَالُ الَّتي يُشْرَعُ إِظْهَارُهَا، كَالصَّلاةِ مَعَ الجمَاعَةِ، وَالجِهَادِ فِي سَبيلِ اللهِ، فَهَذِهِ لَا تُعْمَلُ إِلَّا ظَاهِرَةً، لَكِنْ عَلَىٰ الإِنْسَانِ أَنْ يُخلِصَ نِيَّتَهُ لله عَزَّ وَجَلَّ، وَلهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيْبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[4].

---

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٩٤).

(٢) مجالس شهر رمضان (ص٦٣)، للعلامة صالح الفوزان حفظه الرَّحْمَٰنُ.

(٣) أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١١/ ٢٦٢)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٧٨) رقم (٨٨٤) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه. وصححه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٢٣١٣).

(٤) أخرجه البخاري (١ و٥٤ و٢٥٢٩ و٣٨٩٨ و٥٠٧٠ و٦٦٨٩ و٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فَيَجِبُ عَلَىٰ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَطَلَبَ لهَا الخَلاصَ مِنْ عَذَابِ الله، أَنْ يَسْعَىٰ فِي خَلاصِهَا، بِالإِخْلاصِ لله وَحْدَهُ[1]، في كُلِّ مَا يَأتي وَمَا يَذَرُ، وَفي كُلِّ ما يَقُولُ وَيَفْعَلُ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ الإِخْلاصُ لَهُ نَعْتاً، وَتَضْمَحِلَّ عَنْ قَلْبِهِ جمِيْعُ المقَاصِدِ وَالأَغْرَاضِ المنَافِيَةِ لِلإِخْلاصِ[2]، لِيَنَالَ بِذٰلِكَ الأُجُورَ العَظِيْمَةَ، وَالمنَازِلَ العَالِيَةَ.

وَمِنْ فَوَائِدِ الحَدِيْثِ: أَنَّ مَنْ سَمِعَهُ وَعَمِلَ بِهِ إِيمَاناً بِاللهِ وَاحْتِسَاباً لِلثَّوَابِ المَوْعُوْدِ بِهِ، زَكَّىٰ اللهُ عَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الثَّوَابِ أَمَلَهُ، وَزَادَهُ خيراً وَدَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «... **إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغي بِهِ وَجْهَ الله تَعَالىٰ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ خَيراً، وَدَرَجَةً، وَرِفْعَةً**»[3].

جَعَلنَا اللهُ مِمَّنْ أَخْلَصَ للهِ عَمَلَهُ، وَخَتَمَ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ أَجَلَهُ[4].

۞ حفظ كتاب الله تَعَالىٰ ۞

١٠ عَنْ عَبدِ الله بنِ عَمرٍو ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقرَأُ بِهَا**»[5].

قَوْلُهُ: «**صَاحِبُ القُرْآن**» هُوَ المُلازِمُ لَهُ بالهِمَّةِ وَالعِنَايَةِ، وَيَكُونُ

---

(١) الدرر السنية (٢/ ٢٨٤).

(٢) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص١٧ ـ ١٨)، للعلامة السعدي ؒ.

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

(٤) الأربعون الصَّحيحة (ص٦٥).

(٥) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) واللفظ له. وصححه الألباني ؒ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٢٩).

ذٰلِكَ تَارَةً بِالحفْظِ وَالتِّلاوَةِ، وَتَارَةً بِالتَّدَبُّرِ وَالعَمَلِ بِهِ[1]، عَلَىٰ حَدِّ قَوْلِهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ القَومَ أَقْرَؤُهُم لِكِتَابِ الله...**»[2]، أَيْ أَحْفَظُهُم، فَالتَّفَاضُلُ فِي دَرَجَاتِ الجَنَّةِ، إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ حَسْبِ الحفْظِ فِي الدُّنيَا، وَلَيْسَ عَلَىٰ حَسْبِ قِرَاءَتِهِ يومَئِذٍ وَاسْتِكْثَارِهِ مِنْهَا كَمَا تَوَهَّمَ بَعْضُهُم، فَفِيهِ فَضِيْلَةٌ ظَاهِرَةٌ لحَافِظِ القُرْآنِ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ حِفْظُهُ لِوَجْهِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وَلَيسَ لِلدُّنْيَا وَالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ[3]، وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**»[4].

فَلْيُراقِبْ كُلٌّ نَفْسَهُ، هَلْ أَرَادَ بِحِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ، وَجْهَ الله تَعَالىٰ؟ أَوْ أَرَادَ مَدْحَ النَّاسِ وَثَنَاءَهُم، وَالنَّجَاةَ مِنْ ذَمِّهم؟!

فَلْيُصَحِّحْ كُلٌّ عَمَلَهُ قَبْلَ الشُّرُوْعِ فِيهِ، وَلْيَنْظُرْ مَاذَا أَرَادَ بِهِ، وَلْتَكُنْ نِيَّتُهُ لله خَالِصَةً[5].

وَهذا الأَمْرُ لا يُوَفَّقُ إِلَيهِ «إِلَّا مَنْ أَمَدَّهُ الله بِأَمْدَادِ التَّوفِيقِ، وَأَيَّدَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَتَوَلَّىٰ حِفْظَهُ وَحِمَايَتَهُ، وَفَتَحَ بَصِيرَةَ قَلْبِهِ»[6]، وَتَدَبَّرَ الكِتَابَ العَزِيزَ كُلِيَّةَ التَدَبُّرِ، وَتَفَكَّرَ في آيَاتِهِ أَكمَلَ التفَكُّرِ، وَنَظَرَ في السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ أَبْلَغَ النَّظَرِ، وَتَتَبَّعَ ما وَرَدَ عَنِ المُصْطَفَى ﷺ أَتَمَّ التَّتَبُّعِ[7].

---

(١) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (ص١٦٥٤).
(٢) رواه مسلم (٦٧٣)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٣) انظر: السلسلة الصَّحيحة (٥/ ٢٨٤).
(٤) رواه أحمد (٦٦٣٣ و٦٦٣٤ و٦٦٣٧)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وصححه الألباني رحمه الله فِي «السلسلة الصَّحيحة» (٧٥٠).
(٥) الكلمات الحسان فيما يعين عَلَىٰ الحفظ والانتفاع بالقرآن (ص٥٠ ـ ٥١).
(٦) الروح (ص٣٢١).
(٧) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني(١/ ١٧٩).

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: المُوَفَّقُ مَنْ إذا تَلَمَّحَ قِصَرَ المَوْسِمِ المعْمُولِ فِيْهِ، وَامْتِدَادَ زَمَانِ الجَزَاءِ الَّذِي لا آخِرَ لَهُ، انْتَهَبَ حَتَّىٰ اللَّحْظَةَ، وَزَاحَمَ كُلَّ فَضِيْلَةٍ، فَإِنَّهَا إذا فَاتَتْ فَلا وَجْهَ لاسْتِدْرَاكِهَا.

فَلَوْ أَنَّ العَبْدَ تَدَبَّرَ الحَدِيثَ المذْكُورَ حَقَّ التَّدَبُّرِ، لحَفِظَ القُرْآنَ عَاجِلاً.

[١١] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»[١].

قولُهُ: «**السَّفَرَة**» أَي: الملائِكَةُ. وَالسَّفَرَةُ يعني بَينَ الله تَعَالىٰ وَبَينَ خَلْقِهِ، وَمِنْهُ يَقَالُ: السَّفِيرُ الَّذِي يَسْعَى بَينَ النَّاسِ في الصُّلْحِ وَالخيرِ.

قَولُهُ: «**الكِرَام البَرَرَة**» أَي خَلْقُهُم كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلاقُهُم وَأَفْعَالهُم بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ. وَمِنْ ههنا يَنْبَغِي لحَامِلِ القُرْآنِ أَنْ يَكُونَ في أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَىٰ السَّدَادِ وَالرَّشَادِ[٢].

فَقَدْ دَلَّ هذا الحَدِيثُ عَلَىٰ أنَّ قَارِئَ القُرْآنِ «إِنْ كَانَ مِنَ المُتْقِنِينَ لِتِلاوَتِهِ، المُجِيدِينَ لِقِرَاءَتِهِ، فَهُوَ فِي نَعِيمِ الجنّاتِ، مَعَ الملائِكَةِ السَّفَرةِ الكِرَامِ البرَرَةِ»[٣]. فَأُحِلَّ «مَقَامَهُم، وَأُنْزِلَ مَنَازِلَهمُ الرَّفِيعَةَ، وَأُسْكِنَ مَقَامَاتِهِمُ العَالِيَةَ»[٤].

وَإِنْ كَانَ مِنَ المُبْتَدِئِينَ فِي تِلاوَتِهِ، وَالمتَعَلِّمِينَ لِقِرَاءَتِهِ، وَيَتَرَدَّدُ فِي

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٩٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٠٦).
(٣) الكلمات الحسان (ص١٠).
(٤) فيض القدير (١٢/ ٦٠٩٩).

حُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَيَشُقُّ عَلَيهِ بِثقلِ لِسَانِهِ فِي نُطْقِ آيَاتِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ؛ أَجْرٌ عَلَىٰ قِرَاءَتِهِ، وَأَجْرٌ لِصَبرِهِ عَلَىٰ مَشَقَّةِ القِرَاءَةِ وَالتَّعْتَعَةِ حَتَّىٰ يَتَعَلَّمَ، فَهُوَ فِي جمِيْعِ أَحْوَالِهِ مِنَ الفَائِزِينَ المفْلِحِينَ[1].

وَلا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الكَلام «أَنَّ الَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ لَهُ مِنَ الأَجْرِ أَكْثَرُ مِنَ المَاهِرِ؛ بَلِ الماهِرُ أَفْضَلُ أَو أَكْثَرُ أَجْراً مَعَ السَّفَرَةِ، وَلَهُ أُجُورٌ كَثيرَةٌ حَيثُ انْدَرَجَ في سِلْكِ الملائِكَةِ المقَرَّبِينَ»[2]. وَكَيفَ يَلْحَقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَنِ بِكِتَابِ الله تَعَالىٰ، وَحِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ وَكَثْرَةِ تِلاوَتِهِ وَدِرَايَتِهِ، كَاعْتِنَائِهِ حَتَّىٰ مَهَرَ فِيهِ[3]؟!

فَيَا لِسَعَادَةِ المكْثِرِينَ، مِنَ التِّلاوَةِ لِكِتَابِ الله رَبِّ العَالمينَ، وَالحفْظِ لآيَاتِهِ وَسُوَرِهِ، فَدَرَجَاتُهُم فِي الجِنَانِ عَالِيَةٌ، وَحَسَنَاتُهُم عِنْدَ رَبِّهم كَثِيرَةٌ وَمُتَنَامِيَةٌ.

وَيَا لِخسَارَةِ المقُلِّينَ، وَقَدْ تخَلَّفُوا عَنْ رَكْبِ السَّابِقينَ المقُرَّبِينَ، وَتحَسَّرُوا عَلَىٰ تَفْرِيطِهِم فِي تِلاوَةِ القُرْآنِ، وَحِفظ كَلامِ رَبِّهم الرَّحْمَٰنِ، وَنَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُم نَدَمٌ[4].

١٢ عَنْ عِصْمَةَ بنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ جُمِعَ القُرْآنُ فِي إِهَابٍ، مَا أَحْرَقَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ**»[5].

والمعنىٰ: لَوْ قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ القُرْآنُ في إِهَابٍ، مَا مَسَّتْهُ النَّارُ لبَرَكَةِ

(١) الكلمات الحسان (ص١٠).
(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٣٣٦).
(٣) تحفة الأحوذي (٨/ ١٧٤).
(٤) الكلمات الحسان (ص١١).
(٥) رواه البيهقي فِي «الشُّعب» (٢٧٠٠)، وحسّنه الألباني ﵀ فِي «صحيح الجامع» (٥٢٦٦).

مجَاوِرَتِهِ القُرْآنَ، فَكَيْفَ بِالمؤمِنِ الَّذِي تَوَلَّىٰ حِفْظَهُ، وَالمواظَبَة عَلَيهِ؟!(١)

فَمَنْ حملَ القُرْآنَ وَقرَأَهُ، لَمْ تمَسَّهُ النَّارُ(٢).

وَلأَجْلِ هَذَا كَانَ «حَقِيْقاً بِالإِنْسَانِ أَنْ يُنفِقَ سَاعَاتِ عُمُرِهِ ـ بَلْ أَنْفَاسَهُ ـ فِيمَا يَنَالُ بِهِ المطَالِبَ العَالِيَةَ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا بِالإِقْبَالِ عَلَىٰ القُرْآنِ»(٣) تِلاوَةً وَحِفْظاً وَتَدَبُّراً.

١٣ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَجِيءُ القُرْآنُ يومَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ! فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ! فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ! فَيَرْضَىٰ عَنْهُ، فَيُقَالَ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»(٤).

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ العَظِيم عِدَّةُ كَرَامَاتٍ لحَافِظِ القُرْآنِ وَهِيَ: الإِنْعَامُ عَلَيهِ بِتَاجِ الكَرَامَةِ، وَحُلَّةِ الكَرَامَةِ، وَرِضَىٰ الله عَنْهُ وَهُوَ أَعْظَمُهَا، وَيُزَادُ عَلَىٰ كُلِّ ذٰلِكَ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً، فَضْلاً عَنْ رَفْعِهِ دَرَجَاتٍ فِي الجَنَّةِ بِعَدَدِ آيَاتِ القُرْآنِ.

فَمَا ادَّخَرَهُ الله لحَافِظِ القُرْآنِ العَامِلِ بِهِ، لَمْ يَدَّخِرْهُ لِغَيرِهِ إِلَّا الأَنْبِيَاءَ وَالشُّهَدَاءَ.

فَهَلْ يَعِي المسْلِمُوْنَ فَضْلَ حِفْظِ كِتَابِ رَبِّهم، فيُقْبِلوا عَلَيْهِ بِشَوْقٍ

---

(١) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (٥/ ١٦٦٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨٤).

(٣) تهذيب مدارج السالكين (ص٢٤).

(٤) رواه الترمذي (٢٩١٥)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٢٨).

وَرَغْبةٍ وَعَطَشٍ وَيُرَغِّبُوا أَبْنَاءَهُم فِيهِ، وَلَكِنْ لِلأَسَفِ أَكْثَرُهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَىٰ دُنْياهم أَضْعَافَ تَسَابُقِهِم إِلَىٰ آخِرَتِهِمْ وَدِينِهِمْ؟!

فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنْ زَهِدَ فِي كِتَابِ رَبِّهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حِفْظاً وَفِقْهاً، وَتِلاوةً وَدِرَاسَةً وَعَمَلاً؟![1]

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «**إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَنْ هُم؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ القُرْآنِ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**»[2].

اعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّ «أَهْلَ القُرْآنِ هُمُ العَالِمونَ بِهِ، وَالعَامِلُونَ بِمَا فِيْهِ، وَإِنْ لَمْ يحْفَظُوهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ»[3]، «وَالثَّوَابُ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَالأَقْدَارِ عَلَىٰ قَدْرِ مُعَامَلَةِ القُلُوبِ، وَمَا يحْصَلُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ وَذِكْرِ الله، مِنْ وَجَلِ القَلْبِ، وَدَمْعِ العَيْنِ، وَاقْشِعْرَارِ الجِسْمِ»[4].

وَأَمَّا مَنْ حَفِظَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ، وَلَمْ يَعْمَلْ بما فِيهِ، فَلَيسَ مِنْ أَهْلِهِ وَإِنْ أَقَامَ حُرُوْفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ[5].

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ... تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»[6].

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: «**الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ**».

---

(١) فضائل القرآن وحملته (ص٤٣)، للشيخ محمد موسىٰ نصر حفظه الله.
(٢) رواه ابن ماجه (٢١٥)، وصححه الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (١٧٨).
(٣) زاد المعاد (١/ ١٨٧).
(٤) حاشية الروض المربع (٢/ ٢١٠).
(٥) زاد المعاد (١/ ١٨٧).
(٦) رواه مسلم (٨٠٥).

وَلله دَرُّ القَائِلِ:

أَهْلُ القُرْآنِ أَئِمَّةٌ بِهِمُ اهْتَدَى ... أَهْلُ السُّلُوكِ إِلىٰ رِضَا الجبَّارِ
لكنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بالذي ... فِيهِ مِنَ المشْرُوعِ لِلأَبْرَارِ
صِدْقٌ وَإِخْلاصٌ وَحُسْنُ عِبَادةٍ ... وَقِيَامُ لَيْلٍ مَعَ صِيَام نَهَارِ
وَتَوَرُّعٌ وَتَزَهُّدٌ وَتَعَفُّفٌ ... وَتَشَبُّهٌ بِخَلائقِ الأخيارِ
وَدِيَانَةٌ وَصِيَانَةٌ وَأَمَانَةٌ ... وَتجنُّبُ لخَلائِقِ الأَشْرَارِ
وَأَداءُ فَرْضٍ وَاجْتِنَابُ محَارِمٍ ... وَإِدَامَةُ الأَورَادِ وَالأَذْكَارِ
يَا حَامِلَ القُرآنِ إِنْ تَكُ هَكَذا ... فَلَكَ الهنَا بِفَوزِ عُقْبَى الدَّارِ
وَمَتَىٰ أَضَعْتَ حُدُودَهُ لَمْ تَنْتَفِعْ ... بِحُرُوْفِهِ وَسَكَنْتَ دَارَ بَوارِ[1]

وَهَذَا الكَلامُ «في غَايَةٍ مِنَ الحُسْنِ وَالبَهَاءِ، وَنِهَايَةِ الظُّهُوْرِ وَالجَلاءِ»[2].

❁ قراءة آية الكرسي ❁

[١٤] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»[3].

يَعْنِي: لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبينَ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا المَوْتُ[4]. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ تَفْخِيمٍ وَتَعْظِيمٍ لِشَأْنِهَا.

وَاعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّ آيَةَ الكُرْسِيِّ هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي

---

(١) التذكرة في الوعظ (ص٨١ ـ ٨٢).
(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٣٥٤).
(٣) رواه النسائي فِي «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٠)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الجامع» (٦٤٦٤).
(٤) الوابل الصَّيب (ص٢٣٩).

القُرْآنِ. فَحَافِظْ عَلَىٰ قِرَاءَتِهَا دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، وَهُوَ أَمْرٌ سَهْلٌ مَيسُورٌ لمنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيهِ، وَوَفَّقَهُ لِلْمُدَاوَمَةِ عَلَيهِ.

وَيَنْبَغِي لمنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ أَنْ يَقْرَأَهَا بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُّم، فَهَذا «هُوَ المقْصُودُ وَالمَطْلُوبُ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنيرُ القُلُوبُ»(١)، وَهَذَا هُوَ أَصْلُ صَلاحِ القَلْبِ.

وَمِنْ مَكَائِدِ الشَّيطَانِ تَنْفِيرُ عِبَادِ الله عَنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الهُدَىٰ وَاقِعٌ عِنْدَ التَدَبُّرِ(٢).

❁ قراءة سورة الملك ❁

١٥ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«سُورَةٌ مِنَ القُرْآنِ، مَا هِيَ إِلَّا ثَلاثُونَ آيَةً، خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّىٰ أَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ، وَهِيَ تَبَارَكَ»**(٣).

قَالَ ابنُ عَبْدِ البرِّ رحمه الله: وَمَعْنَاهُ عِنْدِي ـ وَالله أَعْلَمُ ـ أَنَّ كَثْرَةَ قِرَاءَتِهِ لهَا تَرْفَعُ عَنْهُ غَضبَ الرَّبِّ يومَ تَأتي كُلُّ نَفْسٍ تجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا، فَقَامَتْ لَهُ مَقَامَ المُجَادِلَةِ، وَالله أَعْلَمُ(٤).

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: عنْ جَابرٍ رضي الله عنه قَالَ: **«كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرأَ: ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»**(٥).

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص٧٧).
(٢) حاشية الروض المربع (٢/ ٢٠٧).
(٣) رواه الطَّبراني فِي «الأوسط» (٣٦٥٤)، وفي «الصَّغير» (٤٩٠). وحسّنه المحدث الألباني رحمه الله فِي «صحيح الجامع» (٣٦٤٤).
(٤) الاستذكار (٨/ ١٢٥)، لابن عبد البر رحمه الله.
(٥) رواه الترمذي (٢٨٩٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣١٦).

نَعَمْ. . كَانَ الرَّسُولُ الكَرِيْمُ ﷺ لا يَنَامُ حَتَّىٰ يَقْرَأَ هَاتَينِ السُّورَتَينِ الفَاضِلَتَينِ: سُورَةَ السَّجْدَة، وَسُورَةَ تَبَارَك.

فَاقْرَأْ ـ بارك الله فيك ـ هَاتَينِ السُّورَتَينِ عِنْدَما تَذْهَبُ إِلىٰ سَرِيرِكَ لِتَخْلُدَ إِلىٰ النَّومِ. . عَمَلاً بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاقْتِدَاءً بِهَدْيِهِ.

وَبَعْدُ: فَسُورَةُ الملْكِ سُورَةٌ فَاضِلَةٌ كَرِيْمَةٌ، يَحْسُنُ بِكَ ـ أَخي الحَبِيْبُ ـ أَنْ تُحَافِظَ عَلَىٰ تِلاوَتِهَا، وَحِفْظِهَا، وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهَا، وَالْعَمَلِ بِأَحْكَامِهَا ما اسْتَطَعْتَ، لِتَشْفَعَ لَكَ عِنْدَ الله يَومَ القِيَامَةِ، فَيَغْفِرُ الله لَكَ ذُنُوبَكَ، وَيُدْخِلُكَ جَنَّةَ الخُلْدِ بِإِذْنِهِ تَعَالىٰ.

جَعَلَني الله وَإِيَّاكَ مِنَ القَارِئِينَ لِلْقُرْآنِ، العَامِلِينَ بِأَحْكَامِهِ، المُتَأَدِّبِينَ بِآدَابهِ. . اللَّهُمَّ آمين[١].

❀ قراءة سورة الإخلاص ❀

١٦ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُم فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقرَأُ لَهُم فِي الصَّلاَةِ، يَقرَأُ بِهَا، افتَتَحَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ حَتَّىٰ يَفْرَغَ مِنهَا. ثُمَّ يَقرَأُ سُورَةً أُخرَىٰ مَعَهَا، وَكَانَ يَصنَعُ ذٰلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَىٰ أَنَّهَا تُجزِئُكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخرَىٰ؛ فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخرَىٰ. قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُم أَنْ أَؤُمَّكُم بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُم تَرَكْتُكُم. وَكَانُوا يَرَونَهُ أَفضَلَهُم، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُم غَيرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ أَخبَرُوهُ الخَبَرَ فَقَالَ: «**يَا فُلاَنُ مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأمُرُ بِهِ**

---

(١) سورة تدخل الجنة (ص١٦)، بتصرف يسير.

أَصْحَابُكَ؟ وَمَا يَحمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟» فَقَالَ: يا رَسُولَ الله إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»[1].

فَقَدْ دَلَّ هَذَا الحدِيثُ عَلَىٰ «أَنَّ حُبَّ العَبْدِ لِصِفَاتِ الرَّحْمَٰنِ وَمُلازَمَتَهُ تَذَكُّرَهَا، وَاسْتِحْضَارَ ما دَلَّتْ عَلَيهِ مِنَ المعَاني الجَلِيلَةِ، والتَّفَهُّمَ فِي مَعَانِيهَا مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ»[2].

وَأَهْلُ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ «أَشَدُّ النَّاسِ نَفْرَةً وَتَنْفيراً عَنْ صِفَاتِهِ وَنُعُوتِ كَمَالِهِ، يُعَاقِبونَ وَيَذُمُّونَ مَنْ يَذْكُرُهَا وَيَقْرَؤُهَا وَيجمَعُهَا وَيَعْتَنِي بِهَا، وَلهذَا لهُمُ المَقْتُ وَالذَّمُّ عِنْدَ الأَئِمَّةِ، وَعَلىٰ لِسَانِ كُلِّ عَالِم مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ، وَالله تَعَالىٰ أَشَدُّ بُغْضاً وَمَقْتاً لهُم؛ جَزَاءً وِفَاقاً»[3].

١٧ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَجَبَتْ**». قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**الجَنَّة**»[4].

قَالَ ابنُ عَبْدِ البرِّ ﵀: فِيهِ فَضِيلَةٌ بَيِّنَةٌ وَجَلِيلَةٌ فِي قِرَاءَةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وَممكِنٌ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ وَجبَتْ لَهُ الجَنَّةُ بِتِلاوَتِهَا مَعَ أَعْمَالِ البرِّ غَيرِهَا، وَممْكِنٌ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ خَاصَّةً لَهُ[5].

---

(١) رواه البخاري (٧٧٤) تعليقاً مجزوماً به، والترمذي (٢٩٠١) والسياق له. وصححه الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٢٣).
(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات العَلاَّمَةُ السعدي ﵀ (١/ ٨٣).
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٢).
(٤) رواه الترمذي (٢٨٩٧)، وصححه الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢٣٢٠).
(٥) الاستذكار (٨/ ١٢٠).

۞ سجود التلاوة ۞

١٨ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيتُ فَلِيَ النَّارُ**»[١].

قَالَ شَيخُ الإِسْلام ﷺ: وَالنَّبِيُّ ﷺ ذكرَ هَذَا تَرْغِيباً فِي هَذَا السُّجُودِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ هَذا السُّجودَ مَأمُورٌ بِهِ، كَمَا كَانَ السُّجُودُ لآدَمَ، لِأَنَّ كِلَيهِمَا أَمْرٌ، وَقَدْ سَنَّ السُّجودَ عقِبَهُ، فَمَنْ سَجَدَ كَانَ مُتَشَبِّهاً بِالمَلائِكَةِ، وَمَنْ أَبىٰ تَشَبَّهَ بِإِبْلِيسَ، بَلْ هَذَا سُجُودٌ لله، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ السُّجُودِ لآدَمَ[٢].

وَفِي الحَدِيثِ «دَلالَةٌ عَلَىٰ فَضْلِ سُجُودِ التِّلاوَةِ، وَأَنَّ فِعْلَهُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ وَرِضَا الرَّبِّ، وَإِدْخَالِ الهَلاكِ وَالحزْنِ عَلَىٰ إِبْلِيسَ عَدوِّ آدَمَ وَذُرِيَّتِهِ، وَأَنَّ مَصِيرَ إِبْلِيسَ إِلَىٰ النَّارِ وَبِئسَ القَرَارُ»[٣].

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مَنْ سَجَدَ سُجُودَ التِّلاوَةِ، دَعَا بِمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ.

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي رَأَيتُني اللَّيلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ، كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اكْتُبْ لي بهَا عِنْدَكَ أَجْراً، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْراً، وَاجْعَلْهَا لي عِنْدَكَ ذُخْراً، وتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاودَ**»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٨١).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٢٣).
(٣) الفتح الرباني (٤/ ١٦٠).
(٤) رواه الترمذي (٥٧٩ و٣٤٢٤)، وحسّنه الألباني ﷺ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٤٧٣ و٢٧٢٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ القُرْآنِ باللَّيلِ: «**سَجَدَ وَجْهِي للَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَولِهِ وَقُوَّتِهِ**»[1].

۞ متابعة المؤذن ۞

١٩ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللهُ أَكبَرُ اللهُ أَكبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُم: اللهُ أَكبَرُ اللهُ أَكبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكبَرُ اللهُ أَكبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكبَرُ اللهُ أَكبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

تَأَمَّلْ هذا الحَدَيثَ حقَّ التأَمُّلِ. فَإِنَّهُ حَدِيثٌ عَظِيمُ النَّفْعِ، جَلِيْلُ القَدْرِ، كَبِيْرُ الشَّأنِ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي ثَوَابِ حِكَايَةِ المؤذِّنِ، حَدِيثٌ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ زِيَادَةٍ تُضَمُّ إِلَىٰ مَا هَاهُنَا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ بهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ فَإِنَّها مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ،**

---

(١) رواه الترمذي (٥٨٠ و٣٤٢٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٤٧٤ و٢٧٢٣).

(٢) رواه مسلم (٣٨٥).

لَا تَنبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[1].

وَفي إِجَابَةِ المؤَذِّنِ خمْسُ سُنَنٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَدِ اشْتَمَلَ حَدِيثُ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو عَلَىٰ ثَلاثَةٍ مِنْهَا.

وَالرَّابِعَةُ: أَنْ يَقُولَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِالله رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»[2].

وَالخَامِسَةُ: أَنْ يَدْعُو اللهَ بَعْدَ إِجَابَةِ المؤَذِّنِ وَصَلاتِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ وَسُؤَالِهِ الوَسِيلَةَ، لما فِي «سُنَنِ أَبِي دَاودَ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ المؤذِّنينَ يَفْضُلُونَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيتَ، فَسَلْ تُعْطَهْ**»[3].

فَهَذِهِ خمْسَةٌ وَعِشْرُونَ سُنَّةً فِي اليَّومِ وَاللَّيلَةِ، لَا يحَافِظُ عَلَيهَا إِلَّا السَّابِقُونَ[4].

قَالَ العَلاَّمَةُ ابنُ عُثَيمِينَ رحمه الله: يَنْبغي لنَا إِذَا سَمِعْنَا المؤذِّنَ أَنْ نَقُولَ مِثْلَ ما يَقُولُ. حَتَّىٰ لو كُنَّا نَقْرَأُ، نَقْطَعُ القِرَاءَةَ وَنُجيبُ المؤذِّنَ، وَإِذَا فَرَغْنَا نُقْبِلُ عَلَىٰ القِرَاءَةِ[5].

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) رواه مسلم (٣٨٦).

(٣) رواه أبو داود (٥٢٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٢).

(٤) جلاء الأفهام (ص٣٧٢ ـ ٣٧٤).

(٥) شرح رياض الصَّالحين (٣/٢٢٦ ـ ٢٢٧).

وفي مُتَابَعَةِ المؤذِّنِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ رَحمةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ؛ لأَنَّ المؤذِّنين لمَّا نَالُوا مَا نَالُوهُ مِنْ أَجْرِ الأَذانِ، شُرِعَ لِغَيرِ المؤذِّنِ أَنْ يُتَابِعَهُ؛ لِيَنَالَ أَجْراً كَمَا نَالَ المؤذِّنُ أَجْراً(١).

۞ كثرة السجود لله تَعَالىٰ ۞

٢٠ عَنْ مَعْدَانَ بنِ أَبِي طَلحَةَ اليَعمَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيتُ ثَوبَانَ مَولَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: أَخبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدخِلُنِي الله بِهِ الجَنَّةَ؟ أَو قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ الله؟ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلتُ عَنْ ذٰلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «**عَلَيكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً**» قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوبَانُ(٢).

فَقَدْ بَيَّنَ النَّبيُّ ﷺ فِي هَذَا الحدِيثِ، مَاذَا يحْصُلُ للإِنْسَانِ مِنَ الأَجْرِ فِيمَا إِذَا سَجَدَ، وَهُوَ أَنَّهُ يحصُلُ لَهُ فَائِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ:

الفَائِدَةُ الأُولىٰ: أَنَّ الله يَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، يَعْنِي مَنْزِلَةً عِنْدَهُ وَفي قُلُوبِ النَّاسِ، وَكَذٰلِكَ فِي عَمَلِكَ الصَّالِحِ يَرْفَعُكَ الله بِهِ دَرَجَةً.

الفَائِدَةُ الثانية: يحطُّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً، وَالإِنْسَانُ يحصُلُ لَهُ الكَمَالُ بِزَوَالِ مَا يَكْرَهُ وَحُصُولِ ما يُحِبُّ، فَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ ممَّا يُحِبُّه الإِنْسَانُ، وَالخَطَايَا ممَّا يَكْرَهُ الإِنْسَانُ، فَإِذَا رُفِعَ لَهُ دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَقَدْ حَصَلَ عَلَىٰ مَطْلُوبِهِ وَنَجَا مِنْ مَرْهُوبِهِ(٣).

---

(١) الشرح الممتع (٢/ ٧٧).
(٢) رواه مسلم (٤٨٨).
(٣) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٤٨٠).

مَا أَشْرَفَها مِنْ مَنْقَبَةٍ، وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ أَمْرٍ، وَمَا أَكْرَمَهُ مِنْ عَمَلٍ[1].

فَاحْرِصْ ـ بارك الله فيك ـ عَلَىٰ الاسْتِكْثَارِ مِنَ السُّجُودِ «فَإِنَّهُ ثَبَتَ التَرْغِيبُ فِيهِ وَالأَجْرُ العَظِيمُ لِفَاعِلِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، ولا سِيَّما وَهُوَ مِنْ أَسْبابِ القُرْبِ من الرَّبِّ عزَّ وجلَّ»[2]. كَما قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أَقْرَبُ ما يَكونُ العبدُ منْ ربه وهو ساجدٌ فأكثِرُوا الدُّعاءَ**»[3].

(٢١) عَنْ رَبِيعَةَ بنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَتَيتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «**سَلْ!**»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ. قَالَ: «**أَوَ غَيرَ ذٰلِكَ؟**»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»[4].

كَانَ ربيعةُ بنُ كَعْبٍ الأسْلَميُّ رضي الله عنه مُلازِماً للنَّبيِّ ﷺ: يَبيتُ معهُ، ويَخْدِمُهُ، وَيُعينُهُ، وَيُعِدُّ لَهُ ماءَ وضوئِهِ، وَيُجهِّزُ لَهُ حَاجَتَهُ، وَيَرْعىٰ شُؤونَهُ ﷺ.

فَأَرَادَ النَّبيُّ ﷺ، أَنْ يُقَدِّمَ لِخَادِمِهِ ـ ربيعَةَ ـ مَعْرُوفاً، لِقَاءَ العِشْرَةِ الطَيِّبَةِ بَيْنَهُمَا، وَتَقْدِيراً لأَعْمَالِهِ، وَحِرْصاً مِنَ النَّبيِّ الكَرِيمِ ﷺ، عَلَىٰ مَنْفَعَةِ أَصْحَابِهِ الكِرَامِ، رضي الله عنهم أَجمَعِين.

فمَاذَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ؟!

لَقَدْ قَالَ لِرَبِيْعَةَ: «**سَلْنِي**» يَعْني: اطْلُبْ منِّي حَاجَةً أُلَبِّيهَا لَكَ!! أَيَّ حَاجَةٍ!!

---

(١) أسألك مرافقتك في الجنة (ص١٤)، للشيخ الفاضل خليل عناية حفظه الله.
(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٥/ ٢٦٤٩).
(٣) رواه مسلم (٤٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم (٤٨٩).

تَصَوَّرْ أَخي الحَبِيْب: لَوْ كُنْتَ أَنْتَ مَكَانَ «رَبِيْعَةَ بنِ كَعْبٍ»، مَاذا كُنْتَ سَتَطْلُبُ؟!!

(رُبَّمَا) تَطْلُبُ بَيتاً جميلاً، أَو قَصْراً عَظِيماً، أَو رَاحِلَةً سَرِيعَةً، أَو مَالاً كَثيراً، أَو ... أَو ... أَو ... مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ.

أَقُولُ: (رُبَّما)!!!

وَلَكِنِ اسْتَمِعِ الآنَ إِلىٰ إِجَابَةِ «رَبِيْعَةَ» ﷺ، مَاذا طَلَبَ مِنَ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ؟!

قَالَ رَبِيْعَةُ: «أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجنَّةِ»!!!

إِنَّها إِجَابَةٌ غَرِيْبَةٌ مِنْ «رَبِيْعَةَ» ﷺ، أَلَيسَ كَذٰلِكَ أَخِي الحَبِيْب؟!...

ولِذَا نَجِدُ النَّبيَّ ﷺ، يُعِيدُ السُّؤَالَ نَفْسَهُ عَلَىٰ رَبِيْعَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَقُولُ لَهُ: «**أَوَ غَيرَ ذٰلِكَ**»؟!...

أَي: أَلَيسَ لَكَ حَاجَةٌ أَخْرَى؟!.. اطْلُبْ حَاجَةً غَيرَهَا.

قَالَ رَبِيعَةُ: «هُوَ ذَاكَ»!!...

أَي: هَـذا «فَـقَـطْ» مَـا أَرِيْـدُهُ مِـنْـكَ، فـي هَـذه الـدُّنْـيَـا... أَنْ يُكْرِمَنِي الله عزَّ وجلَّ، فَيَجْعَلُنِي في الجنَّةِ بِجِوَارِكَ، مُرَافِقاً لَكَ!

إِنَّهُ لا يُرِيدُ مَتَاعَ الدُّنْيَا، وَزِينَتَهَا، وَزُخْرُفَهَا!!

إِنَّهُ يُرِيْدُ الجنَّةَ.. يُرِيْدُ الآخِرَةَ!!

أَتَدْرِي لماذا؟!

لأَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ ذَاهِبَةٌ، وَنِعَمَهَا فَانِيَةٌ.. أَمَّا الآخِرَةُ فَهِيَ البَاقِيَةُ، وَنِعَمُهَا هي الأَبَدِيَّةُ.. فَهِيَ وَحْدَهَا الَّتي يَنْبَغِي أَنْ تُطْلَبَ!

وَهَذا مَا فَعَلَهُ رَبِيعَةُ رضي الله عنه: إِنَّهُ يَطْلُبُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ مُرَافَقَتَهُ في جَنَّةِ الخُلْدِ يَومَ القِيَامَةِ.

وَأَعْظِمْ بِذٰلِكَ مِنْ أَمْرٍ!!

وَمَنْ مِنَّا لا يَتَمَنَّىٰ ذٰلِكَ؟!!

كُلُّنَا نُحِبُّ مُرَافَقَةَ نَبِيِّنَا في الجَنَّةِ.

وَلَكِنْ: كَيْفَ؟!

لِنَسْتَمِعِ الآنَ إِلىٰ جَوَابِ النَّبيِّ الكَرِيمِ ﷺ.

قَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**»!!

مَاذا يَعْنِي هَذا؟!

يَعْنِي هَذا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّلاةِ، وَالمحَافَظَةَ عَلَيهَا، وَالسُّجُودَ لله تَعَالىٰ فِيْهَا، بِخُشُوعٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَإِخْلاصٍ لله وَحْدَهُ، كُلُّ ذٰلِكَ يَدْخُلُ المسْلِمُ بِسَبَبِهِ جَنَّةَ رَبِّهِ!![1]

وَفي الحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَمْلِكُ أَنْ يُدْخِلَ أَحداً الجَنَّةَ، وَلهَذَا لَمْ يَضْمَنْ لهَذَا الرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَهُ مَطْلُوبَهُ، وَلكِنَّهُ قَالَ لَهُ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**». فَإِذا قَامَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ الَّتي أَوْصَاهُ بهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَإِنَّهُ حَرِيٌّ بِأَنْ يكُونَ مُرَافِقاً لِلرَّسُولِ ﷺ فِي الجَنَّةِ[2].

وَالله لَوْ يَبْقىٰ الإِنْسَانُ فِي سَجْدَةٍ مُنْذُ بَلَغَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ، لَكَانَ هَذَا ثَمَناً قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ هَذهِ الغَنِيمَةِ العَظِيمَةِ، وَلَوْ لم يَكُنْ إِلَّا أَنْ

(١) أسألك مرافقتك في الجنة (ص٤ ـ ١٢)، بتصرف يسير.

(٢) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٤٧٩).

يَنْجُوَ الإِنْسَانُ مِنَ النَّارِ لَكَفَىٰ[1].

۞ المحافظة عَلَىٰ الصَّلوَات الخمس ۞

٢٢ عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«خَمسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله عَلَىٰ العِبَادِ، مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنهُنَّ شَيئاً استِخفَافاً بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأتِ بِهِنَّ، فَلَيسَ لَهُ عِنْدَ الله عَهْدٌ، إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ»**[2].

دَلَّ الحدِيْثُ «عَلَىٰ أَنَّ الصَّلَواتِ المَفْرُوضَةَ خمْسٌ، وَعَلَىٰ أَنَّ مَنْ حَافَظَ عَلَيهِنَّ فِي أَوْقَاتِهِنَّ اسْتَحَقَّ دُخُولَ الجَنَّةِ، وَعَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يحَافِظْ عَلَيهِنَّ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ. فَنَسْأَلُ الله تَعَالىٰ أَنْ يُوَفِّقَنَا جمِيْعاً لأَدَائهِنَّ عَلَىٰ الوَجْهِ المشْرُوعِ»[3].

۞ المحافظة عَلَىٰ صلاة الفجر والعصر ۞

٢٣ عَنْ عُمَارَةَ بنِ رُؤَيبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» يَعنِي: الفَجْرَ وَالعَصْرَ[4].

دَلَّ الحدِيثُ عَلَىٰ وُجُوبِ المحَافَظَةِ عَلَىٰ هَاتَينِ الصَّلاتَينِ لمزِيدِ العِنَايَةِ بِهِمَا، وَأَنَّ مَنْ حَافَظَ عَلَيهِمَا، وَقَاهُ الله مِنْ دُخُولِ النَّارِ، وَذٰلِكَ لمشَقَّتِهِمَا عَلَىٰ النُّفُوسِ.

---

(١) تفسير جزء عمّ (ص٢٤٧).

(٢) رواه النسائي (٤٦١)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن النسائي» (٤٤٧).

(٣) المنهل العذب المورود (٤/ ١٢).

(٤) رواه مسلم (٦٣٤).

فَالصُّبْحُ تَأتي آخِرَ اللَّيلِ أَلَذُّ مَا يَكُونُ المرْءُ مِنَ النَّوم، كَمَا قِيْلَ: أَلَذُّ الكَرَىٰ عِنْدَ الصَّبَاح يَطِيْبُ. فَتَرْكُ الفِرَاشِ وَالغِطَاءِ وَلَذَّةِ النَّومِ، وَالقِيَامُ للْوُضُوءِ وَأَدَاءِ الصَّلاةِ، أَشَقُّ شَيءٍ عَلَىٰ النُّفُوسِ مِنْ غَيرِهِ.

وَالعَصْرُ كَذٰلِكَ فَهيَ وَقْتُ الاسْتِرَاحَةِ أَو الاشْتِغَالِ بالتِّجَارَةِ، وَيَغْفَلُ عَنْهَا الكَثيرُ.

فَمَنْ حَافَظَ عَلَيهِمَا كَانَ لِغَيرِهِمَا أَحْفَظَ، وَكَانَ صَاحِبُهمَا محفُوظاً مِنْ دُخُولِ النَّارِ.

إِنَّهَا نِعْمَةٌ كُبْرَىٰ وَمِنَّةٌ عُظْمَىٰ، أَنْ تَسْلَمَ وَتَنْجُوَ مِنَ النَّارِ.

إِنَّهَا غَنِيْمَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَدَّرَ بِثَمَنٍ؛ فَعَلَيْكَ بِهَا، وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ.

إِنَّهَا غَنِيْمَةٌ بِلا حُدُوْدٍ، فَاسْعَ إِلَيْهَا، وَقَيِّدْهَا بِالْقُيُودِ، وَلَا تجعَلْهَا تَفُوْتُ.

24 عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ البَرْدَينِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[1].

البرْدَان: هُمَا صَلاةُ الفَجْرِ وَصَلاةُ العَصْرِ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ صَلاةَ الفَجْرِ تَقَعُ فِي أَبْرَدِ مَا يَكُونُ مِنَ اللَّيلِ، وَصَلاةُ العَصْرِ تَقَعُ فِي أَبْرَدِ مَا يَكُوْنُ مِنَ النَّهَارِ بَعْدَ الزَّوَالِ، مَنْ صَلاَّهُمَا دَخَلَ الجَنَّةَ، يَعْني أَنَّ المحَافَظَةَ عَلَىٰ هَاتَينِ الصَّلاتَينِ وَإِقَامَتَهُمَا مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ. وَخَصَّ الصُّبْحَ وَالعَصْرَ لمزِيدِ العِنَايَةِ بِهِمَا[2].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

(٢) شرح رياض الصَّالحين (١/٥٣٨ ـ ٥٣٩).

فَمَنْ قَطَعَهُ عَنْ هذا نومٌ أَوْ عَمَلٌ، «فَقَدْ فَازَ بِالحِرْمَانِ، وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِغَايَةِ الخُسْرَانِ، والله المسْتَعَانُ، وَعَلَيهِ التُّكْلانُ، وَمَا شَاءَ الله كَانَ»[1].

❖ وَمِنْ فَضَائِلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَالعَصْرِ:

أ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْعَصْرِ وَصَلاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[2].

إِنَّ السَّائِلَ هُوَ اللهُ مَلِكُ المُلُوكِ، وَالمَسْؤُولُونَ هُمُ المَلائِكَةُ. الملائِكَةُ المقَرَّبُونَ يَشْهَدُونَ لَكَ عِنْدَ الله، وَيَذْكُرُونَكَ بِأَدَاءِ الصَّلاةِ، وَيَمْدَحُونَكَ بِشُهُودِكَ الجمَاعَةَ. الملائِكَةُ الأَبْرَارُ الأَطْهَارُ يَشْهَدُونَ أَنَّكَ مِنَ العِبَادِ المصَلِّينَ الأَخْيَارِ. فَأَينَ أَنْتَ مِنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ؟!

وَفي قَوْلِهِ: «**تَرَكْنَاهُم وَهُم يُصَلُّونَ، وَأَتَينَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**» وَلَمْ يَذْكُرُوا سَائِرَ الأَعْمَالِ، دَلِيْلٌ عَلَىٰ فَضْلِ المصَلِّينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الصَّلاةَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ.

ب ـ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجليِّ ﵁ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩][١].

قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا**» الْكَافُ للتَّشْبِيهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ التَّشْبِيهُ هُنَا لِلرَّبِّ بِالقَمَرِ ـ تَعَالىٰ الله عَنْ ذٰلِكَ ـ وَإِنَّما التَّشْبِيهُ هُنَا لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَيْسَ لِلْمَرْئِيِّ بِالمرْئِيِّ، أَيْ كَمَا أَنَّ رُؤْيَةَ القَمَرِ تَكُونُ لِلنَّاسِ حَقِيقِيةً عِيَاناً بِأَبْصَارِهِمْ، فَكَذٰلِكَ رُؤْيَةُ الله تَكُونُ حَقِيقِيَّةً عِيَاناً بِأَبْصَارِهِمْ[٢].

وَقَوْلُهُ: «**لاَ تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ**» يُرْوَى بِالتَّخْفِيفِ. أَيْ: لا يَلْحَقُكُمْ ضَيْمٌ في رُؤْيَتِهِ، كَمَا يَلْحَقُ النَّاسَ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيءِ الحَسَنِ كَالهِلالِ، فَإِنَّهُ قَدْ يَلْحَقُهُمْ ضَيْمٌ في طَلَبِ رُؤْيَتِهِ حِينَ يُرَى؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى تجَلِّياً ظَاهِراً، فَيَرَوْنَهُ كَمَا تُرَى الشَّمْسُ وَالقَمَرُ، بِلا ضَيْمٍ يَلْحَقُكُمْ في رُؤْيَتِهِ.

وَقيل «**لاَ تُضَامُّونَ**» بِالتَّشْدِيْدِ، أَي: لا يَنْضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ، كَمَا يَتَضَامُّ النَّاسُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّيءِ الخَفِيِّ كَالهِلالِ[٣].

وَقَوْلُهُ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا**» في هَذا إِشَارَةٌ إِلى أَنَّ في الدُّنْيَا أُمُوراً سَتُغَالِبُكُم عَلَىٰ المحَافَظَةِ عَلَىٰ هَاتَينِ الصَّلاتَينِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُم أَلَّا تُهْزَمُوا أَمَامَ هَذِهِ الشَّوَاغِلِ وَالصَّوَارِفِ فَافْعَلُوا، حَتَّى تَنَالُوا هَذَا الثَّوَابَ العَظِيْمَ، وَغَيْرَهُ ممَّا أَعَدَّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ المؤْمِنِيْنَ.

وَمَا أَكْثَرَ الصَّوَارِفَ في أَيَّامِنَا هَذِهِ، فَبَعْضُ النَّاسِ يَغْلِبُهُ عَلَىٰ الصَّلاةِ سَهَرٌ مَاجِنٌ، وَلَهْوٌ بَاطَلٌ، وَمُشَاهَدَاتٌ رَدِيْئَةٌ؛ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣).
(٢) التحفة السّنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية (ص٢٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٥ ـ ٨٦).

يَغْلِبُهُ النَّومُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْغَلُهُ السَّهَرُ عَلَىٰ طَلَبِ العِلْمِ[1].

فَالشَّابُّ الذي «يَسْهَرُ في دِرَاسِةِ العِلْم أَوِ الاسْتِعْدَادِ لِلاخْتِبَارِ إلى قَرِيبٍ مِنْ نِصْفِ الليلِ، ثُمَّ يَنَامُ مُنْهَكاً، فَتَفُوتُهُ صَلاةُ الصُّبْحِ؛ فَمِثْلُ هَذا السَّهَرِ ـ وَلَو في طَلَبِ العِلْمِ ـ لا يَجُوزُ، لأَنَّ مَثَلَهُ كَمَثَلِ مَنْ يَبْنِي قَصْراً وَيَهْدِمُ مِصْراً، وَإِنَّما عَلَيْهِ أَنْ يَنَامَ مُبَكِّراً بَعْدَ صَلاةِ العِشَاءِ، لِيَسْتَيقِظَ مُبَكِّراً لِصَلاةِ الصُّبْحِ، وَلْيَجْعَلْ دِرَاسَتَهُ بَعْدَهَا، وَصَدَقَ رَسُولُ الله ﷺ إِذْ يَقُولُ: «**بُورِكَ لأُمَّتي في بُكُورِها**»[2]. فَلْيُتَنَبَّه لهذا، فَإِنَّ أَكْثَرَ الشَّبَابِ عَنْهُ غَافِلُونَ. وَاللهُ المسْتَعَانُ»[3].

وَفي الحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ عَظِيم قَدْرِ هَاتينِ الصَّلاتَينِ، وَأَنَّهُمَا أَشْرَفُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ. وَقَدْ قِيْلَ في مُنَاسَبَةِ الأَمْرِ بِالمحَافَظَةِ عَلَىٰ هَاتينِ الصَّلاتَينِ ـ عُقَيبَ ذِكْرِ الرُّؤيَةِ ـ: إِنَّ أَعْلىٰ مَا في الجَنَّةِ رُؤيَةُ الله عَزَّ وَجلَّ، وَأَشْرَفَ مَا في الدُّنْيَا مِنَ الأَعْمَالِ هَاتَانِ الصَّلاتَانِ، فَمَنْ حَافَظَ عَلَىٰ هَاتَينِ الصَّلاتَينِ عَلَىٰ مَوَاقِيتِهِمَا وَوُضُوئِهِمَا، وَخُشُوعِهِمَا وَآدَابِهِمَا، وَحُضُورِ القَلْبِ فِيْهِمَا، رُجِيَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ الله عَزَّ وَجلَّ.

تَأَمَّلْ عَظَمَةَ هَذِهِ النِّعْمَةِ فِيمَا رَوَاهُ صُهَيْبٌ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ**

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي(ص١٨٣)، بتصرف يسير.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٨٤١).

(٣) رياض الصالحين (ص٢٨)، تحقيق: العلامة الألباني رحمه الله.

النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][1].

وَلا رَيْبَ أَنَّ الأَمْرَ هَكَذا، وَهُوَ أَجَلُّ مِمَّا يَخْطُرُ بِالبَالِ، أَو يَدُورُ في الخيَالِ.

وَهَذا ـ وَالله ـ هُوَ العَلَمُ الَّذِي شمَّرَ إِلَيهِ المحِبُّونَ، وَاللِّوَاءُ الَّذِي أَمَّهُ العَارِفُونَ، وَهُوَ رُوْحُ مُسَمَّى «**الجَنَّةِ**» وَحَيَاتُهَا، وَبِهِ طَابَتِ الجَنَّةُ، وَعَلَيْهِ قَامَتْ[2].

فَإذا عَلِمْتَ أنَّكَ سَوفَ تَرَى رَبَّكَ عِيَاناً بِالبَصَرِ؛ فَهَلْ تَسْعَى إِلى الوُصُولِ إِلى ذٰلِكَ أَمْ لا؟!

وَالجَوَابُ: نَعَمْ؛ أَسْعَى إِلى الوُصُولِ إِلى ذٰلِكَ بِدُوْنِ تَرَدُّدٍ. لأَنَّهَا غَايَةُ كُلِّ طَالِبٍ، وَمُنْتَهَى المطَالِبِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وَجْهِكَ، والشَّوقَ إلىٰ لِقَائِكَ، في غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ.

۞ المحافظة عَلَىٰ أَربعٍ قبلَ الظهرِ وأربعٍ بعدَها ۞

[٢٥] عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ الله عَلَىٰ النَّارِ**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص٥٠٨ ـ ٥٠٩).
(٣) رواه الترمذي (٤٢٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣٥٢).

وَالحدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، وَكَفَىٰ بِهَذَا التَّرْغِيْبِ بَاعِثاً عَلَىٰ ذٰلِكَ(١).

وَالتَّصْرِيحُ بِتَحْرِيمِ بَدَنِهِ عَلَىٰ النَّارِ، ممَّا يَتَنَافَسُ فِيهِ المتَنَافِسُونَ(٢).

الْلَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِذٰلِكَ، وَارْزُقْنَا الفَوْزَ بِما هُنَالِكَ. آمين.

وَأَمَّا مَنْ سَمِعَ بِهَذَا الحَدِيثِ ثُمَّ يَتَغَافَلُ عَنِ العَمَلِ بِهِ «فَمَا هُوَ إِلَّا مُتَهَاوِنٌ غَيرُ مُكْترِثٍ بِأَعْمَالِ الصَّالِحِينَ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّ مِنْ أَهْلِ العَزْمِ فِي شَيءٍ»(٣).

❁ الذكر بعد الوضوء ❁

[٢٦] عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، [اللَّهُمَّ اجْعَلنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ]، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاء**»(٤).

اعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّ «اللهَ سُبْحَانَهُ بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ الدُّخُوْلَ عَلَيْهِ مَوْقُوْفاً عَلَىٰ الطَّهَارَةِ، فَلا يَدْخُلُ المصَلِّي عَلَيهِ حَتَّىٰ يَتَطَهَّرَ، وَكَذٰلِكَ جَعَلَ الدُّخُولَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ مَوْقُوْفاً عَلَىٰ الطِّيبِ وَالطَّهَارَةِ، فَلا يَدْخُلُهَا إِلَّا طَيِّبٌ طَاهِرٌ.

---

(١) نيل الأوطار (٣/ ٢٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المنهل العذب المورود (٧/ ٢١٦).

(٤) رواه مسلم (٢٣٤). ورواه الترمذي (٥٥) مَعَ الزيادة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (٤٨).

فَهُمَا طَهَارَتَانِ: طَهَارَةُ البَدَنِ، وَطَهَارَةُ القَلْبِ، وَلِهَذَا شُرِعَ لِلْمُتَوَضِّيءِ أَنْ يَقُوْلَ عُقَيبَ وُضُوئِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المتَطَهِّرِينَ.

فَطَهَارَةُ القَلْبِ بِالتَّوبَةِ، وَطَهَارَةُ البَدَنِ بِالماءِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ الطُّهْرَانِ؛ صَلَحَ لِلدُّخُولِ عَلَىٰ الله تَعَالىٰ، وَالوُقُوفِ بَينَ يَدَيهِ وَمُنَاجَاتِهِ»[1].

فَقَد دَلَّ هَذَا الحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ الذِّكْرَ بَعْدَ الوُضُوءِ فَضِيلَةٌ مِنَ الفَضَائِلِ. وَعَلىٰ أَنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ ثَمانِيَةٌ لَا غير. وَعَلىٰ أَنَّ دَاخِلَ الجَنَّةِ يُخيَّرُ فِي أَيِّ الأَبْوَابِ شَاءَ[2].

فَاحْرِصْ عَلَىٰ إِسْبَاغِ الوُضوءِ، وَحافِظْ عَلَىٰ الذِّكْرِ المذْكُورِ بِحُضُورِ قَلْبٍ؛ لَعَلَّكَ تَحْظى بجزيلِ ثَوابِهِ، ولا يكونُ بينَكَ وبينَ الجَنَّةِ حجابٌ، حيثُ استمسكتَ بكلماتٍ هي للجنَّة بابٌ. فلا يقدرُ أحدٌ عَلَىٰ استيفاءِ ما تَنطَوِي عليهِ هذه الكلماتُ من الفوائِد السَّنِيَّةِ.

❁ سنَّة الوضوء ❁

[٢٧] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاةِ الفَجْرِ: «**يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيكَ بَينَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ!**». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَىٰ عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّر طُهُوْراً فِي سَاعَةِ لَيلٍ أَو نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيتُ بِذٰلِكَ الطُّهُوْرِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[3].

أَفَادَ الحَدِيثُ: فَضْلَ صَلاةِ رَكْعَتَينِ بَعْدَ الوُضُوءِ، وَأَنَّ المدَاوَمَةَ

(١) موارد الأمان (ص١١٦).
(٢) المفهم (١/ ٤٩٥).
(٣) رواه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

عَلَىٰ ذٰلِكَ سَبَبٌ فِي تحْصِيلِ الثَّوَابِ الجَزِيْلِ فِي الجَنَّةِ بِفَضْلِ الله الكَرِيمِ، الوَاسِعِ العَمِيْمِ.

«وَيَنْبَغي فِي هَاتَينِ الرَّكْعَتَينِ أَنْ تَحْرِصَ غَايَةَ الحِرْصِ عَلَىٰ أَلَّا تُوَسْوَسَ فِيْهِمَا، يَعْنِي اجْعَلْ قَلْبَكَ وَقَالَبَكَ لِصَلاتِكَ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتينِ، لَا يُحَدِّثُ فِيْهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ وَيُصَلِّي رَكْعَتَينِ سَوَاءٌ فِي بَيْتِهِ إِنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، أَو فِي المسْجِدِ إِنْ تَوَضَّأَ فِي المسْجِدِ، أَو فِي أَيِّ مَكَانٍ»[1].

ما أَجْمَلَهُ مِنْ عَمَلٍ!! وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ عَطاء!! فَلا تُضَيِّعْ هَـذِهِ الفُرْصَةَ عَزيزِي القَارِئ، وَلا تَدَعْهَا تَفُوتُكَ!

حَافِظْ عَلَىٰ هذا العَمَلِ، واعْزِم أَمْرَكَ عَلَىٰ القِيَامِ بِهِ دَوْماً. وَلا تجْعَل لِلشَّيْطَانِ، وَلا لِنَفْسِكَ عَلَيكَ سَبِيلاً[2].

۞ صلاة ركعتين بحضور قلب ۞

[٢٨] عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكعَتَينِ مُقْبِلٌ عَلَيهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**»[3].

مَا أَجْمَعَ هَذَا الحَدِيثَ لِلْفَوَائِدِ الكَثِيْرَةِ! وَبِالتَّأَمُّلِ فِيْهِ تَظْهَرُ الفَوَائدُ الغَزِيرَةُ، لِمَنْ رَزَقَهُ اللهُ فَهْماً صَحِيحاً، وَقَلْباً سَلِيماً، وَأَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد[4].

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (٣/ ٣٠٩).

(٢) بم سبقتني يا بلال؟! (ص١٢)، للشيخ الفاضل خليل عناية حفظه الله.

(٣) رواه مسلم (٢٣٤).

(٤) الدين الخالص (٣/ ٦٧).

اعْلَمْ ـ بَارَكَ اللهُ فِيكَ ـ بِأَنَّ «سِرَّ الصَّلاةِ وَرُوحَهَا وَلُبَّهَا هُوَ إِقْبَالُ العَبْدِ فِيْهَا عَلَىٰ اللهِ وَحُضُوْرُهُ بِكُلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنْ قِبْلَةِ اللهِ يَمِيْناً وَشِمَالاً، فَكَذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْرِفَ قَلْبَهُ عَنْ رَبِّهِ إِلَىٰ غَيرِهِ.

فَالْكَعْبَةُ الَّتي هِيَ بَيْتُ اللهِ قِبلَةُ وَجْهِهِ وَبَدَنِهِ، وَرَبُّ البَيْتِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ قِبلَةُ قَلْبِهِ وَرُوْحِهِ؛ وَعَلَىٰ حَسْبِ إِقْبَالِ العَبْدِ عَلَىٰ الله فِي صَلاتِهِ، يَكُونُ إِقْبَالُ الله عَلَيْهِ، وَإِذَا أَعْرَضَ أَعْرَضَ الله عَنْهُ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

وَلِلإِقْبَالِ فِي الصَّلاةِ ثَلاثُ مَنَازِلَ:

الأُولىٰ: إِقْبَالٌ عَلَىٰ الله بِمُرَاقَبَتِهِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَاهُ. وَهذا يَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ بِالله وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَىٰ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ فَوقَ سَمَاوَاتِهِ، مُسْتَوِياً عَلَىٰ عَرْشِهِ، يَتَكَّلَمُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَ الخَليقَةِ، فَيَنْزِلُ الأَمْرُ مِنْ عِنْدِهِ وَيَصْعَدُ إِليهِ، وَتُعْرَضُ أَعْمَالُ العِبَادِ وَأَرْوَاحُهُم عِنْدَ المُوَافَاةِ عَلَيهِ. فَيَشْهَدُ ذٰلِكَ كُلَّهُ بِقَلْبِهِ، وَيَشْهَدُ أَسْماءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَيَشْهَدُ قَيُّوماً، حَيّاً، سَمِيْعاً، بَصِيراً، عَزِيزاً، حَكِيماً، آمِراً، نَاهِياً، يُحِبُّ وَيُبْغِضُ، وَيَرْضَىٰ وَيَغْضَبُ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ ما يُرِيدُ وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ[1]، لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شيءٌ مِنْ أَعْمَالِ العِبَادِ وَلا أَقْوَالِهِم ولا بَوَاطِنِهم، بَلْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ...

فَحَظُّ العَبْدِ مِنَ القُرْبِ مِنَ الله عَلَىٰ قَدْرِ حَظِّهِ مِنْ مَقَامِ الإِحْسَانِ، وَبِحَسْبِهِ تَتَفَاوَتُ الصَّلاةُ، حَتَّىٰ يَكُونَ بينَ صلاةِ الرَّجُلَينِ مِنَ الفَضْلِ كَمَا

---

(١) اعلم ـ رحمك الله ـ بِأَنْ علوَّ الله عَلَىٰ خَلْقِهِ واستواءَهُ عَلَىٰ عرشِهِ حقٌّ يجبُ اعتقادُهُ، ولا يُبْطِلُه تسميةُ الجهميَّةِ والمُعَطِّلَةِ له حَيِّزاً وجهةً ومكاناً وتجسيماً، فليسَ الشأنُ في الألقابِ، وإنَّما الشأنُ في الحقَائقِ.

بَينَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَقِيَامُهُمَا وَرُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ[1].

وَالثَّانيَةُ: إِقْبَالٌ عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَيَحْفَظُهُ مِنَ الوَسَاوِسِ وَالخَطَرَاتِ.

وَالثَّالثةُ: إِقْبَالٌ عَلَىٰ مَعَاني كَلاَمِهِ وَتَفَاصِيلِ عُبُودِيَّةِ الصَّلاةِ، لِيُعْطِيَهَا حَقَّهَا مِنَ الخُشُوعِ وَالطُّمَأنِينَةِ وَغَيرِ ذٰلِكَ.

فَبِاسْتِكْمَالِ هَذِهِ المَرَاتِبِ الثَّلاثِ تَكُونُ إِقَامَةُ الصَّلاةِ حَقّاً، وَيَكُونُ إِقْبَالُ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ بِحَسْبِ ذٰلِكَ »[2].

فَتَأَمَّلْ في الحَالِ، وَانْظُرْ هَلْ تُخْرِجُ الصَّلاةُ بأذْكَارِهَا وَقِرَاءَتِهَا الشَّيطَانَ مِنْ قَلْبِكَ، وَتُفَرِّغُهُ كُلَّهُ لله تَعَالىٰ بِكُلِّيَّتِهِ، وَتُقِيمُهُ بَينَ يَدَي رَبِّهِ مُقْبِلاً بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيهِ، يُصِلِّي لله تَعَالىٰ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، قَدِ اجْتَمَعَ هَمُّهُ كُلُّهُ عَلَىٰ الله، وَصَارَ ذِكْرُهُ وَمُرَاقَبَتُهُ وَمحَبَّتُهُ وَالأُنْسُ بِهِ في محلِّ الخَوَاطِرِ وَالوَسَاوسِ أمْ لا؟[3]

وَإِنَّما يَقْوَىٰ العَبْدُ عَلَىٰ حُضُورِهِ في الصَّلاةِ وَاشْتَغَالِهِ فِيْهَا بِرَبِّهِ عَزَّ وَجلَّ، إِذَا قَهَرَ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ، وَإِلَّا فَقَلْبٌ قَدْ قَهَرَتْهُ الشَّهْوَةُ، وَأَسَرَهُ الهَوَىٰ، وَوَجَدَ الشَّيطَانُ فِيْهِ مَقْعَداً تمَكَّنَ فِيهِ؛ كَيفَ يَخْلُصُ مِنَ الوَسَاوِسِ وَالأَفْكَارِ؟![4]

وَاعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّكَ «إذا جَمَعْتَ قَلْبَكَ كُلَّهُ عَلَىٰ رَكْعَتَينِ، أَعْطَيتَهُما ما تَقْدِرُ عَلَيهِ مِنَ الحضُورِ، وَالخشُوعِ وَالمرَاقَبَةِ، لمْ تَكَدْ أَنْ تُصَلِّي غَيرَهُمَا إِلَّا بِجُهْدٍ؛ فَإِذا خَلا القَلْبُ مِنْ ذٰلِكَ، عَدَدْت

---

(١) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه (ص٣٨ ـ ٣٩).

(٢) انظر: الكلام عَلَىٰ مسألة السماع (ص٢١٢ ـ ٢١٣)، لابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٤) صحيح الوابل الصَّيب (ص٥٠).

الرَّكَعَاتِ بِلا حِسَابٍ»[1].

وَإِذَا تَأَمَّلَ العَاقِلُ الفَطِنُ اللَّبِيبُ هَذَا الكَلامَ وَتَدَبَّرَهُ، «يَعْلَمُ قَدْرَ هَذِهِ المَسْأَلَةِ وَشِدَّةَ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَانْتِفَاعَهُ بِهَا»[2].

۞ السنن والرواتب ۞

٢٩ عَنِ النُّعَمَانِ بنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمرِو بنِ أَوسٍ، عَنْ عَنبَسَةَ بن أَبِي سُفيَانَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوجِ النَّبيِّ ﷺ؛ أَنَّهَا قَالَت: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله كُلَّ يَومٍ ثِنتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعاً غَيرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَىٰ الله لَهُ بَيتاً فِي الجَنَّةِ، ـ أَوْ بُنِيَ لَهُ بَيتٌ فِي الجَنَّةِ ـ: [أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الفَجْرِ]**».

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَة: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ عَنْبَسَةُ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَة.

وَقَالَ عَمْرُو بنُ أَوسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَة.

وَقَالَ النُّعْمَانُ بنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بنِ أَوسٍ[3].

فَانْظُرْ ـ بارك الله فيك ـ كَيْفَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤلاءِ السَّادَةِ، لَمَّا سَمِعَ الحَدِيثَ بَادَرَ قَائِلاً: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ. وَهَا قَدْ مَنَّ الله عَلَيكَ بِقِرَاءةِ هَذَا الحَدِيثِ، فَمَاذا أَنْتَ قَائِلٌ؟ وَمَاذَا أَنْتَ فَاعِلٌ؟

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٢٤١).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٢٧).

(٣) رواه مسلم (٧٢٨). ورواه الترمذي (٤١٥) بالزيادة، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٩).

وَالحَدِيثُ يَدُلُّ «عَلَىٰ تَأكِيدِ صَلاةِ هَذِهِ الاثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَة، وَهِيَ مِنَ السُّنَنِ التَّابِعَةِ للفَرَائِضِ، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَهَا بَنَىٰ الله لَهُ بيتاً فِي الجَنَّةِ بِسَبِبِ فِعْلِهَا، وَفَضْلُ الله وَاسِعٌ»[1].

فَعَلىٰ الإنْسَانِ أَنْ يُوَاظِبَ عَلَىٰ هذه النَّوافِلِ الرَّوَاتِبِ وَلا بدَّ، وَأَنْ يَأَخُذَ نَفْسَهُ بِهَا وَيحمِلَهَا عَلَيهَا، وَأَنْ يَعِدَّ مِنْ عَمَلِهِ لإِصْلاحِ خَلَلِهِ، ويُكْثِرَ مِنْ نَافِلَتِهِ لجَبْرِ فَرِيضَتِهِ.

وَكُلُّ مِنَّا يَعْلَمُ صَلاتَهُ وَأَينَ قَلْبُهُ فِيْهَا؟ وَكَيْفَ تَفَرُّغُهُ لها وَاهْتِمامُهُ بها. وَالله المسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلانُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله[2].

۞ صلاة الضحى ۞

٣٠ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ صَلَّىٰ الضُّحىٰ أَرْبَعاً، وَقَبْلَ الأُولىٰ أَرْبَعاً، بُنِيَ لَهُ بَيتٌ فِي الجَنَّةِ»**[3].

اعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّ «صَلاةَ الضُّحىٰ سُنَّةٌ، وَوَقْتُهَا مِنَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قَدْرَ رِمْحٍ، يَعْنِي مِنْ رُبُعِ سَاعَةٍ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَىٰ قُبَيْلِ الزَّوَالِ، يَعْنِي إِلَىٰ أنْ يَبْقَىٰ عَلَىٰ الظُّهْرِ عَشْرُ دَقَائِق»[4]. كُلُّ هَذَا وَقْتٌ لِصَلاةِ الضُّحَىٰ، فِي أيِّ وَقْتٍ فِيْهِ تُصَلِّي رَكْعَتَي الضُّحَىٰ، فَإِنَّهُ يجزِئُ، لَكِن الأَفْضَلَ أنْ تَكُونَ فِي آخِرِ الوَقْتِ، لِقَوْلِ النَّبيِّ ﷺ: **«صَلاةُ الأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الفِصَالُ»**[5].

---

(١) الفتح الرباني (٤/ ١٩٠).

(٢) الصلاة والتهجد (ص٢٤٨)، للحافظ عبد الحق الأشبيلي رحمه الله.

(٣) رواه الطَّبراني فِي «الأوسط» (٤٧٥٣)، وحسّنه الألبانيّ رحمه الله فِي «الصَّحيحة» (٢٣٤٩).

(٤) شرح رياض الصَّالحين (٢/ ٥٩١).

(٥) رواه مسلم (٧٤٨)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وَ«الرَّمْضَاءُ الرَّمْلُ الَّذِي اشْتَدَّتْ حَرَارَتُهُ بِالشَّمْسِ. أيْ حِينَ تحتَرِقُ أَخْفَافُ الفِصَالِ ـ وَهِيَ الصِّغَارُ مِنْ أَوْلادِ الإبِلِ، جمْعُ فَصِيلٍ ـ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْلِ»[1].

وَلهَذَا قَالَ العُلَمَاءُ: إنَّ تَأخيرَ رَكْعَتي الضُّحىٰ إِلَىٰ آخِرِ الوَقْتِ أفْضَلُ مِنْ تَقْدِيمِهَا، كَمَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَسْتَحِبُّ أَنْ تُؤخَّرَ صَلاةُ الضُّحىٰ إِلَىٰ آخِرِ الوَقْتِ، إلَّا مَعَ المشَقَّةِ[2].

وَالمرَادُ بِقَوْلِهِ: «**وَقَبْلَ الأولىٰ**» الظُّهْرُ، فَإِنَّهَا أوَّلُ الصَّلَوَاتِ المفْرُوضَةِ في لَيلَةِ الإسْرَاءِ[3].

وَالحدِيْثُ يَدُلُّ عَلَىٰ مَشْرُوعِيَّةِ صَلاةِ الضُّحىٰ، وَعِظَم فَضْلِهَا، وَكَبِيرِ مَوْقِعِهَا، وَالحثِّ عَلَيْهَا، وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهَا. فَهِيَ أعْظَمُ غَنِيمَةٍ يَغْتَنِمُهَا المسْلِمُ، وَبِهَا يَنْتَصِرُ عَلَىٰ الشَّيطَانِ، وَيُرْضِي الرَّحمَٰنَ، وَيحوزُ الإحْسَانَ.

فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يحَافِظَ عَلَىٰ فِعْلِهَا مَا اسْتَطَاعَ، وَأنْ لَا يَتَهَاوَنَ بِأمْرِهَا لِكَونِهَا غَيرَ مَفْرُوضَةٍ، فَفِيْهَا نَفْعٌ عَظِيْمٌ، وَثَوَابٌ جَسِيْمٌ[4].

❁ صلاة الجماعة ❁

[٣١] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَىٰ المَسْجِدِ أَو رَاحَ، أَعَدَّ الله لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَو رَاحَ**»[5].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٢٦ ـ ٢٧).
(٢) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٥١٧).
(٣) فيض القدير (١١/ ٥٨٨٠).
(٤) الفتح الرباني (٢/ ٢٢٥).
(٥) رواه البخاري (٦٢٦)، ومسلم (٦٦٩) واللفظ له.

وَالنُّزُلُ: مَا يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ مِنْ طَعَام وَنَحْوِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الإكْرَام، أيْ أنَّ الله تَعَالَىٰ يُعِدُّ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَىٰ المسْجِدِ صَبَاحاً أو مَسَاءً، يُعِدُّ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً إكْرَاماً لَهُ.

فَفِي هَذَا الحدِيْثِ: إثْبَاتُ هَذَا الجزَاءِ العَظِيْم لمنْ ذَهَبَ إِلَىٰ المسْجِدِ أوَّلَ النَّهَارِ أوْ آخِرَهُ، وَفِيْهِ بَيَانُ فَضْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ العَبْدِ، حَيْثُ يُعْطِيْهِ عَلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الأعْمَالِ اليَسِيْرَةِ هَذَا[1] الثَّوابَ الجَمِيْلَ، وَالأَجْرَ الجزِيْلَ.

نَسْأَلُ الله لَنَا وَلَكُم مِنْ فَضْلِهِ العَظِيم[2].

[٣٢] عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ لله أَرْبَعِينَ يَوماً فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَىٰ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»[3].

اعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأنَّ صَلاةَ الجمَاعَةِ «مِنْ أَوْكَدِ العِبَادَاتِ، وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، وَأعْظَمِ شَعَائِرِ الإسْلامِ»[4].

وَقَدِ اشْتَمَلَ هَذَا الحدِيْثُ عَلَىٰ: مُكَافَأةٍ عُظْمَىٰ، وَعَطَاءٍ جَزِيْلٍ، وَمِنْحَةٍ سَنِيَّةٍ.

فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ بِالوُضُوءِ قَبْلَ دُخُوْلِ الوَقْتِ لِلصَّلاةِ، فَمَنْ لَمْ يسْتَعِدَّ لِذٰلِكَ فَرُبَّمَا فَاتَتْهُ فَضِيْلَةُ التَّكْبِيرَةِ الأُوْلَىٰ، وَهَذَا الأَمْرُ يُخِلُّ بِهِ كَثيرٌ

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٥٢٥).

(٢) شرح رياض الصَّالحين (٣/ ٢٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٠).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٢٢٢).

مِنَ المصَلِّينَ؛ بَلْ إِنَّ البَعْضَ يُقَدِّمُ الهاتِفَ الجَوَّالَ عَلَىٰ تَكْبِيْرَةِ الإحْرامِ. فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ!

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّلِ، حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ الله فِي النَّارِ**»(١).

وَمَعْنَاهُ: لا يَزَالُ يُؤَخِّرُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، حَتَّىٰ تَكُوْنَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ(٢)، جَزاءً وِفَاقاً لأَعْمَالِهِم، وَطِبَاقاً لأَحْوَالِهِم(٣).

وَعَنْ أبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﵁: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأىٰ فِي أصْحَابِهِ تَأَخُّراً، فَقَالَ لهُم: «**تَقَدَّمُوا فَائتَمُّوا بي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُم، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ الله**»(٤).

أَي: عَنْ رَحمَتِهِ، وَعَظِيْمِ فَضْلِهِ، وَرَفِيْعِ مَنْزِلَتِهِ(٥).

قَالَ العَلاَّمَةُ ابْنُ عُثيمين ﵀: إِنَّ الإِنْسَانَ كُلَّمَا تَأَخَّرَ عَنِ الصَّفِ الأَوَّلِ أو الثَّاني أوِ الثَّالِث، أَلْقَىٰ الله فِي قَلْبِهِ محبَّةَ التَّأَخُّرِ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ـ وَالْعِيَاذُ بِالله ـ(٦).

فَبَادِرْ أَخِي المسْلِم إِلَىٰ التَّبْكِيرِ إِلَىٰ المسْجِدِ، لِتُدْرِكَ فَضِيْلَةَ تَكْبِيْرَةِ الإِحْرَامِ ـ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ ـ وَذَكِّرْ بِهِ غيرَكَ، فَالدَّالُّ عَلَىٰ الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ. وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ لما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

---

(١) رواه أبو داود (٦٧٩)، وصححه الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن أبي داود» (٦٣٠).
(٢) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (ص١١٤٣).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٧٤).
(٤) رواه مسلم (٤٣٨).
(٥) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (ص١١٤٣).
(٦) شرح رياض الصَّالحين (٣/ ٢٧٦).

[٣٣] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ كُلُّهُم ضَامِنٌ عَلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ الله، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَىٰ الله حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَو يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَىٰ المَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَىٰ الله حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَو يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيتَهُ بِسَلاَمٍ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَىٰ الله عزَّ وجلَّ**»(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: وَمَعْنىٰ ضَامِنٌ عَلَىٰ الله تَعَالىٰ أيْ: صَاحِبُ ضَمَانٍ، وَالضّمَانُ: الرِّعَايَةُ للشَّيءِ، كَمَا يُقَالَ: تَامِرٌ، وَلابِنٌ، أيْ: صَاحِبُ تمرٍ وَلَبَنٍ. فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ فِي رِعَايَةِ الله تَعَالىٰ، وَمَا أَجْزَلَ هَذِهِ العَطِيَّةَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَاهَا(٢).

[٣٤] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**المسْجدُ بَيتُ كُلِّ تَقِيٍّ. وَتَكَفَّلَ اللهُ لمنْ كَانَ المسْجِدُ بَيتَهُ، بِالرَّوْحِ وَالرَّحمَةِ، وَالجَوَازِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ إِلَىٰ رِضْوَانِ الله إِلَىٰ الجَنَّةِ**»(٣).

قَوْلُهُ: «**تَكَفَّلَ الله**» أيْ: ضَمِنَ. وَهَذَا عِبَارَةٌ عَنْ أنَّ هَذَا الجزَاءَ لَا بُدَّ مِنْهُ(٤).

وَاعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأنَّ المرُورَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، الَّذِي هُوَ عَلَىٰ

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٩٤)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن أبي داود» (٢١٧٨).
(٢) الأذكار (ص٥٠).
(٣) قَالَ المنذري رحمه الله فِي «الترغيب» (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢): رواه الطَّبراني فِي «الكبير»، و«الأوسط» [(٧١٤٩)] والبزار [«كشف الأستار» (٤٣٤)]، وقَالَ: إسناده حسن، وَهُوَ كَمَا قَالَ رحمه الله.
(٤) المفهم (٣/ ٧٠٥).

مَتْنِ جهَنَّمَ، طَرِيقٌ حَرِجٌ، وَمَسْلَكٌ شَاقٌّ، لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الأقْدَامُ، إِلَّا قَدَمٌ ثَبَتَتْ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ.

«وَلَعَلَّكَ تَظُنُّ أنَّ هَذَا الطَّرِيْقَ مِنْ طُرُقِ الدُّنْيَا الصَّعْبَةِ، وَسُبُلِهَا الوَعِرَةِ، بَلْ هُوَ أَحَدُّ مِنَ السَّيفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِكَ وَقَدْ حُمِلْتَ عَلَيْهِ، وَكُلِّفْتَ المرُورَ بِهِ؟! وَمَهْوَاهُ جَهَنَّمُ تحْتَكَ، وَأرَدْتَ المرُورَ فَلَمْ تَقْدِرْ، وَالنُّهُوضَ فَلَمْ تَسْتَطِع، وَاضْطَرَبَ بِكَ اضْطِرَاباً، وَالتَهَبَ ذٰلِكَ السَّعِيرُ تحْتَكَ التِهَاباً، وَلَمْ تجِدْ إِلَىٰ النَّجَاةِ سَبِيْلاً، وَلَا إِلَىٰ الخَلاصِ بَاباً، وَلَا يَنْهَضُ بِكَ إِلَّا سَعْيُكَ الَّذِي سَعَيتَ، وَلَا جَرَىٰ بِكَ إِلَّا عَمَلُكَ الَّذِي عَمِلْتَ، وَمَرْكُوبُكَ الَّذِي فِي الدُّنْيَا رَكِبْتَ، فَلْتَتَخَيَّرِ الآنَ أيَّ المرَاكِبِ تَرْكَبُهَا، وَأَيَّ الأبْوَابِ تَدْخُلُهَا، وَأَيَّ الطُّرُقِ تَسْلُكُهَا»[1].

فَاتَّخِذِ المسْجِدَ بَيْتاً، وَأَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَأَقْبِلْ عَلَىٰ الآخِرَةِ وَاعْمَلْ لها[2]، لِتَجُوْزَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ إِلَىٰ رِضْوَانِ الله إِلَىٰ الجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَىٰ، وصِفَاتِكَ العُلىٰ أنْ تَرْزُقَنا الجَوَازَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ. آمين. آمين. آمين.

۞ طاعة النَّبيِّ ﷺ ۞

[٣٥] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأبَىٰ؟! قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»[3].

الطَّاعَةُ: «مُوَافَقَةُ الأمْرِ، سَوَاءٌ كَانَ ذٰلِكَ فِي فِعْلِ المأمُورِ أو تَرْكِ

---

(١) العاقبة (ص٣١٤).
(٢) التذكرة فِي أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (ص٣٩١).
(٣) رواه البخاري (٧٢٨٠).

المحْظُورِ، فَإِذَا قِيْلَ طَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ، فَالطَّاعَةُ لِفِعْلِ المأمُورِ وَالمعْصِيَةُ لترْكِ المحْظُوْرِ.

أَمَّا إِذَا قِيْلَ: طَاعَةٌ عَلَىٰ سَبِيْلِ الإِطْلاقِ، فَإِنَّهَا تَشْمَلُ الأوَامِرَ وَالنَّوَاهِي، يَعْنِي: أَنَّ امْتِثَالَ الأَوَامِرِ طَاعَةٌ، وَاجْتِنَابَ النَّوَاهِي طَاعَةٌ، فَالذي يُطِيْعُ النَّبيَّ ﷺ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، أَيْ إِذَا أَمَرَهُ امْتَثَلَ وَإِذَا نَهَاهُ اجْتَنَبَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ»[1] مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

وَمَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَزَلَّ عَنِ الصَّوَابِ، وَضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ المسْتَقِيمِ، فَقَد دَخَلَ النَّارَ[2].

جَعَلَنَا الله وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَثبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَىٰ الإِسْلامِ وَالسُّنَّةِ، فِي القَولِ وَالاعْتِقَادِ وَالفِعْلِ.

۞ لزوم الجماعة ۞

[٣٦] عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُم كَمَقَامِ رَسُولِ الله ﷺ فِينَا فَقَالَ: «... **عَلَيكُم بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُم وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَينِ أَبعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَليَلزَمِ الجَمَاعَةَ...**»[3].

قَوْلُهُ: «**بُحْبُوحَة الجنَّة**» أَي: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْكُنَ وَسَطَها وَأَخْصَبَها، وَأَحْسَنَهَا وَأَوْسَعَهَا مَكَاناً[4].

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٥٩٠).

(٢) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (٢/ ٦٠٦).

(٣) رواه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٧٥٨).

(٤) فيض القدير (٥/ ٢٣٦٣).

وَالمرَادُ: أَنَّ لُزُومَ الجمَاعَةِ سَبَبُ الكَونِ في بُحْبُوحَةِ الجنَّةِ؛ لأَنَّ يَدَ الله مَعَ الجمَاعَةِ[1]. فَلا يحدِثُ حَدَثاً فِيْهِم، وَلا يخَالِفُ قَولاً لهم[2].

فَمَا المرَادُ بِالجمَاعَةِ المذْكُورَةِ في الحدِيثِ؟

فَأَقُولُ وَبالله التَّوْفِيق، وَمِنْهُ الهِدَايَةُ إِلَىٰ أَقْوَم طَرِيقٍ: إِنَّ المرَادَ بِالجمَاعَةِ، فِي هَذَا الحَدِيثِ: جمَاعَةُ الصَّحَابَةِ؛ لأَنَّها لَمْ تكنْ إِذْ ذَاكَ جمَاعَةٌ أُخْرَىٰ، وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ ﷺ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[3].

أَي: مَنْ كَانَ مُسْتَقِيْماً وَثَابِتاً عَلَىٰ النَّهجِ الَّذِي تَرَكْتُ أَصْحَابي عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ تَرَكْتُكُم عَلَىٰ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كنَهَارِهَا، لا يَزيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»[4].

وَهَذَا أَوْضَحُ مِنْ كُلِّ وَاضِحٍ، وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَىٰ جَاهِلٍ، فَضْلاً عَنْ عَالمٍ[5].

فَالذينَ كَانُوا عَلَىٰ مَا كَانَ عَليهِ الرَسُولُ ﷺ وأصْحابُهُ، هُمُ الجمَاعَةُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ شَرِيعَتِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ امْتَثَلُوا مَا وَصَّىٰ الله بِهِ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشُّورىٰ: ١٣]، فَهُمْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا، بَلْ كَانُوا جمَاعَةً وَاحِدَةً. وَلَوْ كَانُوا قَلِيْلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ غَيرِهِم، وَلَوْ كَثُرَ

---

(١) نيل الأوطار (٨/ ٣٥٥).

(٢) عارضة الأحوذي (٩/ ١٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (٢١٢٩).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤١).

(٥) الدين الخالص (٣/ ٥٣٩).

أَعْدَاؤهُم وَمخَالِفُوهُم وَخُصُومُهُم، فَلا يَضُرُّهُم. فَقَد يُوجَدُ مَنْ يخَالِفُهُم فِي كَثِير مِنَ الأزْمِنَةِ، وَلَكِنْ لَا عِبْرَةَ بِهِم. «فَإِنَّهُم هُمُ الأَقَلُّونَ قَدْراً، وَإِنْ كَانُوا الأَكْثَرِينَ عَدَداً»[1].

«فَالحَقُّ حَقٌّ، وَلَوْ قَلَّ أَهْلُهُ، وَالبَاطِلُ بَاطِلٌ، وَلَوْ كَثُرَ أَهْلُهُ، فَلَيْسَ العِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الأتْبَاعِ وَلَا بِكَثْرَةِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَىٰ طَرِيْقِهِ، بَلِ العِبْرَةُ بِنَفْسِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ، صِحَّتِهَا أَمْ عَدَمِ صِحَّتِهَا»[2].

فَأَهْلُ الحَقِّ أَقَلُّ الخَلْقِ عَدَداً، «فَإِنَّهُمْ قَلِيْلُوْنَ في النَّاسِ، وَالنَّاسُ عَلَىٰ خِلافِ طَرِيْقَتِهِم، فَلَهُم نَبَأٌ وَلِلنَّاسِ نَبَأٌ»[3]. هُمْ في وادٍ، والنَّاسُ في وادٍ.

عَنْ مُعَاوِيَةَ ﵁ أَنَّهُ قامَ فَقَالَ: أَلا إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِيْنَا فَقَالَ: «**أَلا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَينِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»[4].

وَهذا حَدِيْثٌ عَظِيْمٌ قَدْرُهُ، كَبِيْرٌ شَأْنُهُ، مَشْهُورُ الرِّوَايَةِ، ثَابِتٌ لا شَكَّ فِيْهِ، ولِذٰلِكَ تتابعَ العُلَمَاءُ خَلَفاً عنْ سَلَفٍ عَلَىٰ الاحْتِجَاجِ به، حتىٰ قَالَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ الله في أَوَّلِ «**مُسْتَدْرَكِهِ**»: إِنَّه حديثٌ كبيرٌ في الأصولِ[5]، وهذا من معجزاتهِ ﷺ، لأَنَّهُ أَخبرَ عَنْ غيبٍ وقع[6].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٤٣).

(٢) التعليقات الزكية عَلَىٰ العقيدة الواسطية (٢/ ٢٧٤)، للعلامة ابن جبرين حفظه الله.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٥٩).

(٤) رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وحسنه الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٤٣).

(٥) المستدرك (١/ ٦).

(٦) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٩٨).

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ: فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً سَمَّاهَا النَّبيُّ ﷺ الجَمَاعَةَ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ تِلْكَ الفِرَقَ ـ وَإِنْ كَانَتْ ـ أَكْثَرَ فَلَيسُوا جمَاعَةً، بَلْ هُمْ أَهْلُ فِرْقَةٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ الله تَعَالىٰ أَنَّ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أُمَّةً، فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]؛ فَأَطْلَقَ عَلَيهِ أمَّةً، حَيثُ إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنٍ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ مُسْلِمٌ غَيرُهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيتُ النَّبيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيطُ، وَالنَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، وَالنَّبيُّ ليسَ معهُ أحدٌ...**»[(١)].

وَفِي هذا الحديثِ دليلٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ أَنَّ كَثْرَةَ الأَتْبَاعِ وَقِلَّتَهم ليْسَتْ مِعْيَاراً لِمَعْرِفَةِ كونِ الداعيةُ عَلَىٰ حَقٍّ أَو بَاطلٍ[(٢)].

وَهَذا كَلامٌ صَحِيحٌ لا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ، ولا يَردُّهُ رَادٌّ، بَلِ السُّنَّةُ المُطَهَّرةُ تَشْهَدُ لَهُ شَهادةً أَوضَحَ مِنْ شَمْسِ النَّهارِ، وَتُنَادي عَلَيهِ بِأَعْلَى صَوتٍ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الحَقَّ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ**»[(٣)].

وَمَا أَجمَعَ هَذَا القَوْلَ مِنْ هَذَا الصَّحَابيِّ الجَلِيلِ، وَأَنْفَعَهُ، وَأَخْصَرَهُ، وَأَحَقَّهُ بِأَنْ تَعِيَهُ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له.

(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ٦٨٤).

(٣) أخرجه اللالكائي فِي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٦٠)، وصحح إسناده المحدِّث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَحَيْثُ جَاءَ الأمْرُ بِلُزُومِ الجمَاعَةِ؛ فَالمرَادُ بِهِ لُزُومُ الحَقِّ وَاتِّبَاعُهُ، وَإِنْ كَانَ المتَمَسِّكُ بِهِ قَلِيلاً، وَالمخَالِفُ كَثِيراً؛ لِأَنَّ الحَقَّ الَّذِي كَانَتْ عَلَيهِ الجَمَاعَةُ الأُولَىٰ مِنْ عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَلَا نَظَرَ إِلَىٰ كَثْرَةِ أَهْلِ البِدَعِ بَعْدَهُم»[1].

وَقَدْ شَذَّ النَّاسُ كُلُّهُم زَمَنَ الإمَامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلَ إِلَّا نَفَراً يَسِيراً، فَكَانُوا هُمُ الجَمَاعَةَ، وَكَانَ الفُقَهَاءُ وَالمُفْتُونَ وَالخَلِيفَةُ وَأَتْبَاعُهُ هُمُ الشَّاذِّينَ، وَكَانَ الإمَامُ أحمَدُ وَحْدَهُ هُوَ الجَمَاعَةَ. وَلَمَّا لَمْ يَتَحَمَّل هَذَا عُقُولُ النَّاسِ، قَالَوا للْخَلِيفَةِ: يَا أَمِيرَ المؤمِنينَ، تَكُونُ أَنْتَ وَقُضَاتُكَ وَوُلاتُكَ، وَالْفُقَهَاءُ وَالمفْتُونَ كُلُّهُمْ عَلَىٰ البَاطِلِ، وَأَحمَدُ وَحْدَهُ عَلَىٰ الحَقِّ، فَلَمْ يَتَّسِعْ عِلْمُهُ لِذٰلِكَ، فَأَخَذَهُ بِالسِّيَاطِ وَالعُقُوبَةِ بَعْدَ الحبْسِ الطَّوِيلِ[2].

فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً عَرَفَ ذٰلِكَ وَاتَّصَفَ بِالإِنْصَافِ، وَتجَنَّبَ التَّعَصُّبَ وَالاعْتِسَافَ.

أَيُّها الأخُ الفَاضِلُ: «إِنَّ مَنْ أَحَبَّ قوماً اتَّبَعَ آثَارَهُم، وَلَنْ تَلْحَقَ الأَبْرَارَ حتَّىٰ تَتَّبِعَ آثَارَهُم، وَتَأخُذَ بِهَدْيِهِم، وَتَقْتَدِي بِسُنَّتِهِم، وَتُصْبِحَ وَتُمْسِي وَأَنْتَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِم، حَرِيْصاً عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنهم، وَتَسْلُكَ سَبِيْلَهُم، وَتَأْخُذَ طَرِيقَهُم، وَإِنْ كُنْتَ مُقَصِّراً في العَمَلِ. فَإِنَّ مَلاكَ الأَمْرِ أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ اسْتِقَامةٍ، أَمَا رَأَيتَ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ وَأَهْلَ الأَهْوَاءِ المُرْدِيَةِ يحبُّونَ أَنْبِيَاءَهُم، وَلَيسُوا مَعَهُم، لأَنَّهُم خَالَفُوهُم في الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَسَلَكُوا غَيرَ طَرِيقِهِم، فَصَارَ مَوْرِدُهُمُ النَّارَ! نَعُوذُ بالله مِنَ النَّارِ»[3].

(١) الباعث عَلَىٰ إنكار البدع والحوادث (ص١٩ ـ ٢٠).
(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٤٩٥)، بتصرف يسير.
(٣) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص٤٨)، لابن رجب الحنبلي رحمه الله.

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْلُكَ الصِّرَاطَ المسْتَقِيْمَ، الَّذِي كانَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، عِلْماً وَعَمَلاً ـ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الحَقِّ وَتَقْدِيمُهُ، وَإيثارُهُ عَلَىٰ غيرهِ ـ فَلْتُوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَىٰ قَدْحِ الجُهَّالِ وَأَهْلِ البِدَعِ فِيْكَ، وَطَعْنِهِم عَلَيْكَ وَإِزْرَائِهِم بِكَ، وَتَنْفِيرِ النَّاسِ عَنْكَ وَتحذِيرِهِمْ مِنْكَ. فَهُمُ «الصَّادُّونَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، الدَّاعُونَ إِلَىٰ خِلافِهَا، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ الله وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجاً، فَيَجْعَلُونَ البِدْعَةَ سُنَّةً، وَالسُّنَّةَ بِدْعَةً، وَالمعْرُوفَ مُنْكَراً، وَالمنْكَرَ مَعْرُوفاً.

إِنْ جَرَّدْتَ التَّوحِيدَ بَينَهُم قَالُوا: تَنَقَّصْتَ جَنَابَ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ»[1].

وَإِنْ جَرَّدْتَ المتَابَعَةَ لِرَسُولِ الله ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، عَلَىٰ آراءِ الرِّجَالِ قَالُوا: أَهْدَرْتَ الأَئِمَّةَ المتْبُوعِينَ، وَتَنَقَّصْتَهُم وَرَغِبْتَ عَنْ أَقْوَالهم، وَمَا فَهِمُوهُ عَنِ الله وَرَسُولِهِ، وَأَسَأْتَ الأَدَبَ عَلَيهِم، وَتَقَدَّمْتَ بَينَ أَيدِيهِم، وَأَسَأْتَ الظَّنَّ بِهِم، حَيْثُ فَاتَهُمُ الصَّوَابُ، وَحَظِيتَ بِهِ دُونَهُم.

وَإِنْ وَصَفْتَ الله بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَير تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ولا تَمْثِيلٍ، قَالُوا: أَنْتَ مِنَ المُشَبِّهِينَ.

«وَإِنْ أَمَرْتَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنَ المعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِنَ المنْكَرِ، قَالُوا: أَنْتَ مِنَ المُفَتِّنِينَ.

وَإِنِ اتَّبَعْتَ السُّنَّةَ وَتَرَكْتَ مَا خَالَفَهَا قَالَوا: أَنْتَ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ المُضِلِّينَ»[2].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٣٧٦)، لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) المصدر السابق.

وَمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَقَلْبٌ حَيٌّ، يَرَىٰ ذٰلِكَ عِيَاناً[1].

فَيَا لَهَا مِنْ بَلِيَّةٍ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، وَرَزِيَّةٍ رَمَتْ فَأَصَمَّتْ، وَفِتْنَةٍ دَعَتِ القُلُوبَ فَأَجَابَها كُلُّ قَلْبٍ مَفْتُونٍ، وَأَهْوِيةٍ عَصَفَتْ فَصُمَّتْ مِنْهَا الآذَانُ، وَعَمِيَتْ مِنْهَا العُيُونُ[2]. فَإِلىٰ الله المُشْتَكَىٰ، وَهُوَ المسْؤولُ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ، فَلا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعراء: ٢٢٧][3].

فَرَحِمَ «الله عَبْداً حَذِرَ الفِرَقَ وَجَانَبَ البِدَعَ، وَاتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الأثَرَ، فَطَلَبَ الطَّرِيقَ المسْتَقِيمَ، وَاسْتَعَانَ بِمَولاهُ الكَرِيم»[4]، وَصَبَرَ وَصَابَرَ.

عَنْ عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ وَرائِكُمْ أيَّامَ الصَّبْرِ، للمُتَمَسِّكِ فيهنَّ يَوْمَئِذٍ بِما أَنْتُمْ عَلَيْهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**». قالوا: يا نَبِيَّ الله! أوَ مِنْهُمْ؟ قال: «**بلْ مِنْكُمْ**»[5].

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

إذا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الصَّبْرِ فَاصْطَبِرْ عَلَىٰ ... الحَقِّ ذَاكَ الصَّبْرُ تُحْمَدُ عُقْبَاهُ[6]

وَالنَّاصِحُ لِنَفْسِهِ، العَامِلُ عَلَىٰ نَجَاتِهَا، يَتَدَبَّرُ هذه الكَلِمَاتِ حَقَّ تَدَبُّرِهَا وَتَأَمُّلِهَا، وَيُنْزِلُها عَلَىٰ الوَاقِعِ فَيَرىٰ العَجَبَ العُجَاب. وَالله المسْتَعَانُ، وَعَلَيهِ التُّكْلانُ، وَمَا شَاءَ الله كَانَ.

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٣١٣).
(٢) المصدر السابق (ص٥٠١).
(٣) المصدر السابق (ص٤٤٨).
(٤) الشَّريعة (١/ ٣١٥).
(٥) أخرجه ابن نصر في «السنة» (ص٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١١٧) رقم (٢٨٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ الله فِي «الصحيحة» (٤٩٤).
(٦) موارد الأمان (ص١٣٠).

«نَسْأَلُ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوَفِّقَنا لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَولِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الَّتي يَرْضَاهَا، وَيَتَوفَّانَا عَلَيهَا، وَأنْ يُلْحِقَنَا بِنَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ محَمَّدٍ المصْطَفَىٰ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَيجمَعَنَا مَعَهُم في دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مجِيْبٌ»[1].

۞ إفشاء السلام ۞

[٣٧] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُم عَلَىٰ شَيءٍ إِذَا فَعَلتُمُوهُ تَحَابَبتُم؟ أَفشُوا السَّلاَمَ بَينَكُم**»[2].

لَيْتَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ تجْرِي فِي سُلُوكِنَا.

لَيْتَنَا نَعْقِلُ مَعْنَاهَا وَمَغْزَاهَا.

لَيْتَنَا نُدْرِكُ مَقْصَدَهَا وَمَرْمَاهَا[3].

ففي هَذَا الحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ أنَّ المحَبَّةَ مِنْ كَمَالِ الإيمَانِ، وَأنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ العَبْدِ حَتَّىٰ يُحِبَّ أَخَاهُ، وَأَنَّ مِنْ أسْبَابِ المحَبَّةِ أنْ يُفْشِيَ الإنْسَانُ السَّلامَ بَيْنَ إخْوَانِهِ، أَي يُظْهِرَهُ وَيُعْلِنَهُ، وَيُسَلِّمَ عَلَىٰ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ المؤمِنِينَ، سَوَاءٌ عَرَفَهُ أَو لَمْ يَعْرِفْهُ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَسْبَابِ المحَبَّةِ، وَلِذٰلِكَ إِذَا مَرَّ بِكَ رَجُلٌ وَسَلَّمَ عَلَيكَ أَحْبَبْتَهُ، وَإِذَا أَعْرَضَ كَرِهْتَهُ، وَلَوْ كَانَ أقربَ النَّاسِ إِلَيكَ.

فَالذي يجِبُ عَلَىٰ الإنْسَانِ؛ أنْ يَسْعَىٰ لِكُلِّ سَبَبٍ يُوْجِبُ الموَدَّةَ وَالمحَبَّةَ بَينَ المسْلِمِينَ؛ لأنَّهُ لَيْسَ مِنَ المعْقُوْلِ وَلَا مِنَ العَادَةِ أنْ يَتَعَاوَنَ

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص٢٢٣ ـ ٢٢٤)، للحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله.

(٢) رواه مسلم (٥٤).

(٣) سعد بن معاذ (ص٥٤)، للشيخ حسين العوايشة حفظه الله.

الإِنْسَانُ مَعَ شَخْصٍ لَا يُحِبُّهُ، وَلَا يُمْكِنُ التَّعَاوُنُ عَلَىٰ الخيرِ وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ البرِّ وَالتَّقْوَىٰ إِلَّا بِالمحَبَّةِ، وَلِهَذَا كَانَتِ المحَبَّةُ فِي الله مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ[1].

فَالجَنَّةُ مُوصَدَةٌ أَبْوَابُهَا بِغَيرِ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ، وَلَا يَتَيَسَّرُ الإِيمَانُ إِلَّا بِالتَّحَابِّ، فَلا جَنَّةَ إِلَّا بِالتَّحَابِّ بَينَ النَّاسِ، وَسَبِيلُ التَّحَابِّ نَشْرُ السَّلامِ وَالإِكْثَارُ مِنْهُ وَالتَّفَقُّهُ فِيْهِ[2].

[٣٨] عَنْ عَبدِ الله بنِ سَلام رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[3].

هَذَا حَدِيثٌ مِنْ أَجَلِّ القُرُبَاتِ، وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ حَدِيْثٌ جَلِيْلُ القَدْرِ عَظِيْمُ النَّفْعِ. مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ غَايَةِ مَا يَتَمَنَّاهُ الإِنْسَانُ، أَلَا وَهُوَ دُخُولُ الجَنَّةِ بِسَلامٍ.

وَ«اعْلَمْ أنَّ خِطَابَ الشَّرْعِ إِذَا صُدِّرَ بِالنِّدَاءِ، دَلَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ أَهَمِيَّةِ هَذَا الخِطَابِ؛ لِأَنَّ النِّدَاءَ يَكُونُ أَبْلَغَ فِي التَّنْبِيْهِ وَالانْتِبَاهِ.

قَوْلُهُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ**» يَعْنِي: أَظْهِرُوا وَأَعْلِنُوا وأَكثِرُوا من السَّلام.

وَيَنْبَغِي لِلْمُسَلِّمِ أنْ يَرْفَعَ صَوتَهُ حَتَّىٰ يُسْمِعَ وَأَلَّا يُسَلِّمَ بِأَنْفِهِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ ـ نَسْأَلُ الله لَنَا وَلهُمُ الهِدَايَةَ ـ يَكُونُ عِنْدَهُ كِبْرِيَاءٌ أو عِنْدَهُ

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (٢/ ١٨٨).

(٢) شرح صحيح الأدب المفرد (١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٢٥١)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٦٣٠).

جفَاءٌ، فَإذا لاقَاكَ سَلَّمَ عَلَيكَ بِأَنْفِهِ، لَا تَكَادُ تَسْمَعُهُ، هَذَا خِلافُ إفْشَاءِ السَّلامِ. فَإفْشَاءُ السَّلام أنْ تَرْفَعَ صَوتَكَ وَتجْهَرَ بِهِ. قَالَ العُلماءُ: إلَّا إذَا سَلَّمَ عَلَىٰ قَوْمٍ أيقَاظٍ بَيْنَهُمْ نِيَامٌ، فَلا يَنْبَغِي أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ رَفْعاً يَسْتَيقِظُ بِهِ النِّيَامُ؛ لِأَنَّ هَذَا يُؤذي النَّائِمِينَ.

قَوْلُهُ: «**أَطْعِمُوا الطَّعَامَ**» لمنْ يحتَاجُ إلَيهِ، مِنَ الزَّوجَاتِ وَالأَوْلادِ، بَنِينَ أو بَنَاتٍ، وَمَنْ فِي بَيتِكَ.

فَإطْعَامُ الطَّعَامِ لأهْلِكَ أفْضَلُ مِنْ إطْعَام المسْكِين؛ لِأَنَّ الأوَّلَ وَاجِبٌ وَهَذَا تَطَوُّعٌ، فَمَنْ أطْعَمَ الطَّعَامَ أهْلَهُ، وَلَمْ يُقَصِّرْ بِشيءٍ، وَقَامَ بِالْوَاجِبِ، فَقَد أطْعَمَ الطَّعَامَ، وَمَا فَضَلَ فَتَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ»[1].

قَوْلُهُ: «**وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» الصَّلاةُ بِاللَّيلِ عِبَادَةٌ غَائِبَةٌ عَنْ أعْيُنِ النَّاسِ، فَلا يُقْدِمُ عَلَيهَا إلَّا مخْلِصٌ يَبْتَغِي وَجْهَ الله وَالدَّارَ الآخِرَةَ.

فَتَنَبَّه أيُّهَا المسْلِمُ! وَتَدَبَّرْ أيُّهَا المؤْمِنُ! هَلْ لَكَ نَصِيبٌ مِنْ قِيَامِ اللَّيلِ؟ فَإنْ كُنْتَ ذَا نَصِيبٍ؛ فَاحمدْ رَبَّكَ، وَاسْتَزِدْ مِنْ ذٰلِكَ، وَأَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ نَصِيبٌ مِنْهُ، فَاجْتَهِدْ فِي دُعَاءِ الرَّحْمَٰنِ، وَسَلْهُ العَوْنَ عَلَىٰ صَلاةِ التَّهَجُّدِ، عَسَىٰ أَنْ يُعينَكَ، فَتَنَبَّهْ وَتَدَبَّرْ وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ.

قَوْلُهُ: «**تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ**»، ظَاهِرُهُ أَنَّهُ بِلا عِقَابٍ وَلَا عَذَابٍ؛ لِأَنَّ مَنْ عُذِّبَ لَمْ يَسْلَمْ.

فَهَذِهِ الأُمُورُ الثَّلاثَة فِي هَذَا الحَدِيثِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الجَنَّةِ بِسَلامٍ.

أيُّها الأخُ المبارك: سَلْ رَبَّ العَالمينَ أنْ يجعَلَكَ فِي عِدَادِ مَنْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلامٍ. وَلْيَكُنْ ذٰلِكَ بِإلحَاحٍ دَائِماً، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَأنْتَ عَلَىٰ قَيْدِ الحيَاةِ وَقَبْلَ الممَاتِ.

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (٣/٣٣٨ ـ ٣٣٩).

❁ كظم الغيظ ❁

٣٩ عَنْ أَبِي الدَّرداءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَغضَبْ وَلَكَ الجَنَّة**»(١).

وَالمعْنَىٰ: لَا تَكُنْ سَرِيعَ الغَضَبِ يَسْتَثِيْرُكَ كُلُّ شَيءٍ، بَلْ كُنْ مُطْمَئِناً مَتَأَنِّياً(٢).

لأَنَّ الشَّيطَانَ إِنَّمَا يَظْفَرُ بِالإِنْسَانِ غَالِباً عِنْدَ الغَضَبِ، فَهُنَاكَ يَصْطَادُهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ مَا لَا يُرْضِي الرَّبَّ، وَيَفْعَلُ مَا لَا يُرْضِيْهِ. وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَرَدَّ غَضَبَهُ أَخْزَىٰ شَيطَانَهُ، وَسَلِمَتْ مُرُوءَتُهُ وَدِينُهُ.

وَالْغَضَبُ يَنْتُجُ عَنْهُ مَفَاسِدُ عَظِيْمَة؛ رُبَّمَا سَبَّ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ، أَوْ سَبَّ دِيْنَهُ، أَوْ سَبَّ رَبَّهُ، أَوْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ، أَوْ كَسَرَ إِنَاءَهُ، أَوْ أَحْرَقَ ثِيَابَهُ، وَكَثِيْرٌ مِنَ الْوَقَائِعِ تَصْدُرُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِذَا غَضِبُوا، كَأَنَّمَا صَدَرَتْ مِنَ المجْنُونِ(٣).

وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ في العَالَم تَعَاظَمَتْ، وَتَفَاحَشَتْ فِيْهَا الشُّرُورُ، وَهُتِكَتْ فِيْهَا الأَعْرَاضُ، وَسُفِكَتْ فِيْهَا الدِّمَاءُ، وَقُطِعَتْ فِيْهَا الأَرْحَامُ، وَأَوْجَبَتْ غَضَبَ الرَّبِّ العَظِيْم عَزَّ وَجلَّ، وَأَوْجَبَتْ عَذَابَهُ الشَّدِيْدَ بِسَبَبِ الغَضَبِ. بَلْ هُوَ سَبَبُ مُعْظَم الفِتَنِ في العَالمِ، نَسْأَلُ الله العَافِيَةَ، مَعَ مَا فِيْهِ مِنَ العَاجِلِ مِنْ أَلمِ القَلْبِ، وَتَنْغِيْصِ العَيْشِ.

---

(١) قَالَ المنذري فِي «الترغيب» (٣/ ٤٤٦): «رواه الطَّبراني بإسنادين، أحدهما صحيح». وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٩).
(٢) شرح رياض الصَّالحين (٢/ ٤١٣).
(٣) شرح رياض الصَّالحين (٢/ ٤٢٤).

وَمِنْ ثَمَّ حُرِّمَ القَضَاءُ بِالحَقِّ عَلَىٰ القَاضِي العَادِلِ عِنْدَ الغَضَبِ[1]، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لأَنَّهُ يَمْلِكُ العَبْدَ، وَلا يَمْلِكُهُ العَبْدُ، فَنَعُوذُ بِالله مِنْهُ[2].

وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَأْمُرُ مَنْ غَضِبَ بِتَعَاطِي أَسْبَابٍ تَدْفَعُ عَنْهُ الْغَضَبَ وَتُسَكِّنُهُ، وَيَمْدَحُ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ غَضَبِهِ، وَمِنْ ذٰلِكَ:

١ ـ الاسْتِعَاذَةُ بالله مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيْمِ:

۞ عَنْ سُلَيمَانَ بنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَها ذَهَبَ عَنْهُ مَا يجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يجد**»[3].

۞ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَعُوْذُ بِالله، سَكَنَ غَضَبُهُ**»[4].

فَإِذَا تَعَوَّذَ الغَضْبَانُ بِالله مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، وَصَحَّ قَصْدُهُ لِذٰلِكَ، فَقَدِ التَجأَ إِلَىٰ الله تَعَالىٰ وَقَصَدَهُ وَاسْتَجَارَ بِهِ، وَالله تَعَالىٰ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يخْذُلَ مَنِ اسْتَجَارَ بِهِ[5].

---

(١) كما في قَوْلِهِ ﷺ: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وَهُوَ غضبان**».
رواه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) الأمر بالعزلة في آخر الزمان (ص١٤٢)، للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله.

(٣) رواه البخاري (٣٢٨٢) و(٦٠٤٨) و(٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

(٤) أخرجه السهمي فِي «تاريخ جرجان» (ص٢٩٢)، وابن عدي فِي «الكامل»: (٦/ ٤٥١). وصححه الألباني رحمه الله فِي «الصَّحيحة» (١٣٧٦).

(٥) المفهم (٦/ ٥٩٤).

٢ ـ إِذَا كَانَ قَائِماً فَلْيَجْلِسْ وَإِلَّا فَلْيَضْطَّجِعْ:

۞ عَنْ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِس، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَّجِعْ**»[١].

وَقَد قِيلَ: إنَّ المعْنَىٰ فِي هَذَا أَنَّ القَائِمَ مُتَهَيِّءٌ لِلانْتِقَام، وَالجَالِسَ دُونَهُ فِي ذٰلِكَ، وَالمضْطَّجِعَ أَبْعَدُ عَنْهُ، فَأَمَرَهُ بِالتَّبَاعُدِ عَنْ حَالَةِ الانْتِقَامِ.

٣ ـ السُّكُوتُ:

۞ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «... **وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ**» قَالَها ثَلاثاً[٢].

أَمَرَ ﷺ بِالسُّكُوتِ عِنْدَ الغَضَبِ، وَكَرَّرَ ذٰلِكَ ثَلاثاً لِلتَّأْكِيدِ[٣].

وَهَذَا أَيْضاً دَوَاءٌ عَظِيْمٌ لِلْغَضَبِ، لِأَنَّ الغَضْبَانَ يَصْدُرُ مِنْهُ فِي حَالِ غَضَبِهِ مِنَ القَوْلِ، مَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ فِي حَالِ زَوَالِ غَضَبِهِ، كَثِيرٌ مِنَ السِّبَابِ وَغَيرِهِ ممَّا يَعْظُمُ ضَرَرُهُ، فَإِذَا سَكَتَ زَالَ هَذَا الشَّرُّ كُلُّهُ عَنْهُ[٤].

وَقَولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ**» يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الغَضْبَانَ مُكَلَّفٌ فِي حَالِ غَضَبِهِ بِالسُّكُوتِ، فَيَكُونُ حِيْنَئِذٍ مُؤَاخَذاً بِالْكَلامِ[٥].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٨٢ و٤٧٨٣)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٠٠ و٤٠٠١).

(٢) رواه أحمد (٢١٣٦ و٢٥٥٦ و٣٤٤٨)، والبخاري فِي «الأدب المفرد» (١٣٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الأدب المفرد» (٩٩١).

(٣) الفتح الرباني (١/ ١٥٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٦).

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٧٤).

٤ ـ مَدَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ وَكَظَمَ غَيْظَهُ:

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوم يَصْطَرِعُونَ فَقَالَ: «**مَا هَذا؟** » قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَذَا فُلانٌ الصَّرِّيعُ، مَا يُصَارِعُ أَحَداً إِلَّا صَرَعَهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟ رَجُلٌ ظَلَمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ، فَغَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ، وَغَلَبَ شَيطَانَ صَاحِبِهِ**»[1].

۞ وَعَنْ أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»[2].

۞ وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّوْنَ الصُّرَعَةَ فِيْكُم؟**»، قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «**لا، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَب**»[3].

۞ وَعَنْ مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ رُؤوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ الله مِنَ الحُورِ مَا شَاءَ**»[4].

۞ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ جَرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ الله، مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله**»[5].

---

(١) رواه البزار (٢٠٥٤ ـ كشف الأستار)، وحسنه الحافظ فِي «الفتح» (١٠/ ٥١٩).
(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
(٣) رواه مسلم (٢٦٠٨)، وأبو داود (٤٧٧٩) والسِّياق له.
(٤) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١ و٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦). وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٩٧).
(٥) رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٧٧).

۞ وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «**أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحقِّ فِي الرِّضا وَالغَضَبِ**»[1].

وَهَذا عَزِيْزٌ جِدّاً، لأنَّ الغَضَبَ يحمِلُ صَاحِبَهُ عَلَىٰ أنْ يَقُولَ غَيرَ الحَقِّ وَيَفْعَلَ غَيرَ العَدْلِ، فَمَنْ كَانَ لَا يَقُولُ إِلَّا الحقَّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضا، دَلَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ شِدَّةِ إيمَانِهِ وَأَنَّهُ يَمْلِكُ نَفْسَهُ.

وَكَانَ الشَّعبيُّ يُنْشِدُ:

لَيْسَتِ الأحْلامُ فِي حَالِ الرِّضا   إنَّما الأحْلامُ فِي حَالِ الغَضَب[2]

۞ وَعَنْ أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَينِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَرُ مجتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ المجْتَهِدُ يَرَىٰ الآخَرَ عَلَىٰ الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْماً عَلَىٰ ذَنْب فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّني وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيْباً؟ فَقَالَ: وَالله! لَا يَغْفِرُ الله لَكَ ـ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ! ـ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ، فَقَالَ لهذا المجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بي عَالِماً، أَو كُنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدَيَّ قَادِراً؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ**». قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّم بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دَنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[3].

فَهَذَا غَضِبَ لله، ثمَ تَكَلَّمَ فِي حَالِ غَضَبِهِ لله بِمَا لَا يجُوزُ، وَحَتَمَ عَلَىٰ الله بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَأَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَكَلَّمَ فِي غَضَبِهِ

---

(١) رواه النسائي (١٣٠٥ و١٣٠٦) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن النسائي» (١٢٣٧ و١٢٣٨).

(٢) شرح حديث عمار بن ياسر (ص٢٨)، لابن رجب رحمه الله.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٠١)، وحسنه العَلَّامَةُ الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٩٧).

لِنَفْسِهِ، وَمُتَابَعَةِ هَوَاه بِمَا لَا يجُوزُ[١]؟!

«فَمَنْ غَضِبَ فِي غَيرِ حَقٍّ وَلَا مَوْعِظَةِ صِدْقٍ، فَلْيَعْلَمْ أنَّ الشَّيطَانَ هُوَ الَّذِي يَتَلاعَبُ بهِ، وَأَنَّهُ مَسَّهُ طَائِفٌ مِنْهُ، وَفي هَذَا مَا يَزْجُرُ عَنِ الغَضَبِ لِكُلِّ مَنْ يَوَدُّ أنْ لَا يَكُونَ فِي يَدِ الشَّيطَانِ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ»[٢].

فَاحْرِصْ يَا أَخِي ـ بارك الله فيك ـ أَنْ يَكُوْنَ غَضَبُكَ لله وَتَذَكَّرِ الحَدِيثَ التَّالي:

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجلاً شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ، وَالنَّبيُّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَبْتَسِمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! كَانَ يَشْتِمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ فلمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ؛ غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ**»[٣].

فَيَا أَيُّهَا المؤمِنُ! أنْتَ المخَاطَبُ بِهَذِهِ المَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ، فَعَلَيْكَ أنْ تَفْهَمَهَا وَتَتَّعِظَ بِهَا، وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ.

۞ سَيِّدُ الاستِغْفَارِ ۞

٤٠ عَنْ شَدَّادِ بن أَوسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُوْلَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا**

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٧٣).

(٢) تحفة الذاكرين (ص٢٠٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٦) (٩٦٢٢)، وجوّد إسناده المحدّث الألباني رحمه الله فِي «الصَّحيحة» (٢٢٣١).

عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوْقِناً بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

هذا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، وَلَهُ شَأْنٌ عَظِيْمٌ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ أَعْرَفُ الخَلْقِ بِالله وَأَعْظَمُهُمْ لَهُ تَوْحِيْداً، وَأَكْثَرُهُمْ لَهُ تَعْظِيماً، وَفِيْهِ الشِّفَاءُ التَّامُّ(٢) لِلسَّائِرِ إِلَىٰ رَبِّهِ.

فَقَد تَضَمَّنَ هَذَا الاسْتِغْفَارُ: الاعْتِرَافَ مِنَ العَبْدِ بِرُبُوبِيَّةِ الله، وَإِلهِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَالاعْتِرَافَ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ، العَالِمُ بِهِ، إِذْ أَنْشَأَهُ نَشْأَةً تَسْتَلْزِمُ عَجْزَهُ عَنْ أَدَاءِ حَقِّهِ وَتَقْصِيرَهُ فِيْهِ، وَالاعْتِرَافَ بِأَنَّهُ عَبْدُهُ الَّذِي نَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ وَفي قَبْضَتِهِ، لَا مَهْرَبَ لَهُ مِنْهُ، وَلَا وَلِيَّ لَهُ سِوَاهُ، ثُمَّ التِزَامُ الدُّخُولِ تحْتَ عَهْدِهِ ـ وَهُوَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ـ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَنَّ ذٰلِكَ بِحَسْبِ اسْتِطَاعَتِي، لَا بِحَسْبِ أَدَاءِ حَقِّكَ، فَإِنَّهُ غَيرُ مَقْدُوْرٍ لِلْبَشَرِ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَأَنَا مُصَدِّقٌ بِوَعْدِكَ الَّذِي وَعَدْتَهُ لأَهْلِ طَاعَتِكَ بِالثَّوَابِ، وَلأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ بِالْعِقَابِ، فَأَنَا مُقِيْمٌ عَلَىٰ عَهْدِكَ، مُصَدِّقٌ بِوَعْدِكَ، ثُمَّ أَفْزَعُ إِلَىٰ الاسْتِعَاذَةِ وَالاعْتِصَامِ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فَرَّطْتُ فِيْهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعِذْنِي مِنْ شَرِّهِ، وَإِلَّا أَحَاطَتْ بِيَ الهَلَكَةُ، فَإِنَّ إِضَاعَةَ حَقِّكَ سَبَبُ الهَلاكِ، وَأَنَا أُقِرُّ لَكَ، وَأَلتَزِمُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأُقِرُّ وَأَلْتَزِمُ بِذَنْبِي، فَمِنْكَ النِّعْمَةُ وَالإِحْسَانُ وَالْفَضْلُ، وَمِنِّي الذَّنْبُ وَالإِسَاءَةُ(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦ و٦٣٢٣). واللفظ للرواية الأولى.

(٢) شفاء العليل (١/ ٣٤٣).

(٣) تهذيب مدارج السالكين (ص٢٢٠ ـ ٢٢١).

فَالْعَبْدُ دَائِماً بَيْنَ نِعْمَةٍ مِنَ الله يحْتَاجُ فِيْهَا إِلَىٰ الشُّكْرِ، وَذَنْبٍ مِنْهُ يحْتَاجُ فِيْهِ إِلَىٰ الاسْتِغْفَارِ، وَكُلٌّ مِنْ هَذَينِ؛ مِنَ الأُمُورِ اللازِمَةِ لِلْعَبْدِ دَائِماً، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِ الله وَآلائِهِ، وَلَا يَزَالُ محْتَاجاً إِلَىٰ التَّوبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ[1].

فَاحْرِصْ ـ بَارَكَ اللهُ فِيكَ ـ عَلَىٰ حِفْظِ هَذَا الدُّعَاءِ ـ الخَفِيفِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، الثَّقِيلِ فِي الميزَانِ ـ وَحَافِظْ عَلَيهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً، إِنْ مِتَّ مِنْ يَومِكَ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا ممَّنْ يُرَدِّدُ سَيِّدَ الاسْتِغْفَارِ عَلَىٰ الدَّوَامِ، لِنَفُوزَ بِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ. إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ.

۞ تحرِّي الصِّدقِ ۞

[٤١] عَنْ عَبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهدِي إِلَىٰ البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقاً...**»[2].

تَأَمَّلْ هَذَا الحَدِيثَ وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ المعْنىٰ الجَلَيلِ القَدْرِ، العَظِيمِ الشَّأْنِ، البَالِغِ فِي النَّفْعِ.

فَالصِّدْقُ دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ، وَحِلْيَةٌ سَنِيَّةٌ جَلِيْلَةٌ. وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيرٍ، وَأُسٌّ لِكُلِّ مَقَامٍ. فَكُلُّ مَنْ صَدَقَ فِي قَصْدِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ فَقَد «بَلَغَ في الصِّدْقِ إِلَىٰ غَايَتِهِ وَنِهَايَتِهِ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ بِهِ في زُمْرَةِ الصِّدِّيقِينَ وَيُكْتَبَ عِنْدَ الله مِنْهُم»[3]. في أَعْلىٰ الدَّرَجَاتِ وَأَرْفَعِ المقَامَاتِ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٦٠٧).

(٣) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (ص٣١١٦).

وَقَد جَعَلَ النَّبيُّ ﷺ في هَذَا الحَدِيثِ الصِّدْقَ مِفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّةِ ـ الَّتي تَلي دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ ـ، «فَلا يَنَالُ دَرَجَتَهَا كَاذِبٌ أَلْبَتَّةَ، لَا فِي قَوْلِهِ، وَلَا فِي عَمَلِهِ، وَلَا فِي حَالِهِ، وَلَا سِيَّما كَاذِبٌ عَلَىٰ الله فِي أَسْمائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْي مَا أَثْبَتَهُ، [كَالَّذي يَنْفِي عُلُوَّ الله عَلَىٰ العَرْشِ[١]، وَنُزُولَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا في الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيلِ]، فَلَيْسَ فِي هَؤلاءِ صِدِّيقٌ أَبَداً.

وَكَذٰلِكَ الكَذِبُ عَلَيهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ، بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ، وَتحْرِيمِ مَا لَمْ يحرِّمْهُ، وَإِسْقَاطِ مَا أَوْجَبَهُ، وَإِيجَابِ مَا لَمْ يُوجِبْهُ، وَكَرَاهَةِ مَا أَحَبَّهُ. كُلُّ ذٰلِكَ مُنَافٍ لِلصِّدِّيْقِيَّةِ.

وَكَذٰلِكَ الْكَذِبُ مَعَهُ فِي الأَعْمَالِ بِالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الصَّادِقِيْنَ المخْلِصِيْنَ، وَالزَّاهِدِينَ المتَوَكِّلِينَ، وَلَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ مِنْهُم»[٢].

وَلأَجْلِ هَذَا كَانَ جَدِيراً بِالعَاقِلِ «أَنْ يُلازِمَ الصِّدْقَ فِي الأَقْوَالِ، وَالإخْلاصَ فِي الأَعْمَالِ، وَالصَّفَاءَ فِي الأحْوَالِ، فَمَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لحِقَ بِالأَبْرَارِ وَوَصَلَ إِلَىٰ رِضَا الغَفَّارِ»[٣].

وَلله دَرُّ القَائِلِ:

سَيُعْطىٰ الصَّادِقُونَ بِفَضْلِ صِدْقٍ   نَجاةً فِي الحَيَاةِ وَفِي المـمَاتِ

اللَّهُمَّ تَفَضَّلْ عَلَينا بِالصِّدْقِ فِي أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا، وَجمِيْعِ أَحْوَالِنَا، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَءُوْفٌ رَحِيمٌ.

---

(١) فَمَنْ نفىٰ حقيقة «الاستواء» فهو معطِّلٌ، وَمَنْ شبَّههُ باستواء المخلوق عَلَىٰ المخلوق فهو ممثِّلٌ، ومن قال: استواءٌ ليس كمثله شيء، فهو الموحِّدُ المنزِّهُ.

(٢) تهذيب المدارج (ص٦٣٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٨٣).

۞ بناء المساجد ۞

[٤٢] عَنْ عُثمانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله، بَنَىٰ الله لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ**»[١].

قَالَ ابْنُ رَجَب رحمه الله: الإخْلاصُ شَرْطٌ لحُصُولِ الثَّوَابِ فِي جَمِيعِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، وَبِنَاءُ المسَاجِدِ مِنْ جُمْلَةِ الأعْمَالِ، فَإِنْ كَانَ البَاعِثُ عَلَىٰ عَمَلِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله حَصَلَ لَهُ هَذَا الأجْرُ، وَإِنْ كَانَ البَاعِثُ عَلَيهِ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ أَوِ المبَاهَاةَ، فصَاحِبُهُ مُتَعَرِّضٌ لمقْتِ الله وَعِقَابِهِ، كَسَائِرِ مَنْ عَمِلَ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِ البرِّ يُرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا، كَمْنْ صَلَّىٰ يُرَائِي أَوْ حَجَّ يَرَائِي أَوْ تَصَدَّقَ يُرَائي[٢].

وَالحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ بِنَاءِ المسَاجِدِ، وَأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ القُرَبِ إِلَىٰ الله عَزَّ وَجلَّ، ـ سَوَاءٌ أكَانَ المسْجِدُ كَبِيراً أَمْ صَغِيراً ـ وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ[٣]، كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ بَنىٰ مَسْجِداً لله كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَىٰ الله لَهُ بَيتاً فِي الجَنَّةِ**»[٤].

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الإعْظَامِ وَالإكْرَامِ لإيذَانِهِ بأَنَّهُ مَقَرُّهُ وَمَسْكَنُهُ، قَدْ أُعِدَّ لَهُ وَهُيِّيءَ وَبُنِيَ، وَأَنَّهُ عِنْدَ الله بِمَكَانٍ جَلِيْلٍ، يُبْنَىٰ لَهُ بِدَارِ القَرَارِ بِجِوَارِ الغَفَّارِ[٥].

وَالمِثَالُ المذْكُورُ في الحَدِيثِ «يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ سَاعَدَ عَلَىٰ عِمَارَةِ

---

(١) رواه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣).
(٢) فتح الباري (٣/ ٣٢٢)، لابن رجب الحنبلي رحمه الله.
(٣) وهُوَ الموضعُ الَّذِي يبيتُ فيهِ الطَّائرُ ويبيضُ.
(٤) رواه ابن ماجه (٧٣٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (٦٠٣).
(٥) فيض القدير (١١/ ٥٧٢٥).

المسْجدِ، وَلَوْ بِشَيءٍ قَلِيلٍ، بِحَيثُ تَكُونُ حِصَّتُهُ مِنَ المسْجِدِ هَذَا المقْدَارَ وَهُوَ مَفْحَصُ القَطَاةِ، اسْتَحَقَّ هَذَا الثَّوَابَ الجزِيْلَ، وَمَا ذٰلِكَ عَلَىٰ فَضْلِ الله وَكَرَمِهِ بِعَزِيزٍ وَلَا جَلِيلٍ»[1].

۞ برُّ الوَالِدَينِ ۞

[٤٣] عَنْ أَبي هُريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُهُ! ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ! ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ!**». قِيْلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»[2].

قَوْلُهُ: «**رَغِمَ أَنْفُهُ**»، وَمَعْنَاهُ: لُصِقَ بِالرَّغَامِ وَهُوَ التُّرَابُ، وَأَرْغَمَ الله أَنْفَهُ، أَيْ: أَلْصَقَهُ بِهِ، وَهَذا مِنَ النَّبيِّ ﷺ دُعَاءٌ مُؤَكَّدٌ عَلَىٰ مَنْ قصَّرَ فِي برِّ أَبَوَيْهِ، وَيحْتَمِلُ وَجْهَينِ:

أحدهما: أَنْ يَكُوْنَ مَعْنَاهُ: صَرَعَهُ الله لأَنْفِهِ فَأَهْلَكَهُ، وَهَذَا إنَّمَا يَكُوْنُ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِمَا يجِبُ عَلَيْهِ مِنْ بِرِّهِمَا.

وثانيهما: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَذَلَّهُ الله؛ لِأَنَّ مَنْ أَلصَقَ أَنْفَهُ ـ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ أَعْضَاءِ الوَجْهِ ـ بِالتُّرَابِ ـ الَّذِي هُوَ مَوْطِىءُ الأَقْدَامِ وَأَخَسِّ الأَشْيَاءِ ـ فَقَدِ انْتَهَىٰ مِنَ الذُلِّ إِلَىٰ الغَايَةِ القُصْوَىٰ، وَهَذَا يَصْلُحُ أَنْ يُدْعَا بِهِ عَلَىٰ مَنْ فَرَّطَ فِي مُتَأَكِّدَاتِ المنْدُوْبَاتِ، وَيَصْلُحُ لمنْ فَرَّطَ فِي الوَاجِبَاتِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، وَتخْصِيْصُهُ عِنْدَ الْكِبَرِ بِالذِّكْرِ- وَإِنْ كَانَ برُّهُمَا وَاجِباً عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ- إِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ لِشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهِ، وَلِضَعْفِهِمَا عَنِ القِيَامِ بِكَثِيرٍ مِنْ مَصَالحِهِمَا، وَلِيُبَادِرَ الوَلَدُ اغْتِنَامَ فُرْصَةِ بِرِّهِمَا؛ لِئَلاَّ تَفُوتَهُ بِمَوتِهِمَا، فَيَنْدَمُ عَلَىٰ ذٰلِكَ.

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العَلّامَةُ السعدي رحمه الله (٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥١).

وَقَوْلُهُ: «**أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَيهِمَا**» وَمَعْنَاهُ: أنَّ المبَالَغَةَ فِي بِرِّ أَحَدِ الأَبَوَينِ ـ عِنْدَ عَدَمِ الآخَرِ- يُدْخِلُ الوَلَدَ الجَنَّةَ، كَالمبَالَغَةِ فِي بِرِّهِمَا مَعاً، وَيَعْنِي بِهَذِهِ المبَالَغَةِ: المبرَّةَ الَّتي تَتَعَيَّنُ لهُما فِي حَيَاتِهِمَا، وَقَدْ يَتَعَيَّنُ لهمَا أَنْوَاعٌ مِنَ البرِّ بَعْدَ موتِهِمَا[1].

وَقَوْلُهُ: «**ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»: اسْتِبْعَادٌ، يَعْنِي: ذَلَّ وَخَابَ وَخَسِرَ، مَنْ أَدْرَكَ تِلْكَ الفُرْصَةَ، الَّتي هِيَ مُوْجِبَةٌ لِلْفَلاحِ وَالْفَوْزِ بِالجَنَّةِ، ثُمَّ لَمْ يِنْتَهِزْهَا[2].

فَمَنْ لَمْ يَغْتَنِمِ الإحْسَانَ إلَيهِمَا سِيَّمَا حَالَ كِبَرِهِمَا، فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُهَانَ وَيُحَقَّرَ شَأْنُهُ[3].

فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ وَالِدَيهِ وَأَرَادَ بِرَّهُمَا، أَوْ أَدْرَكَهُمَا وَقَصَّرَ فِي بِرِّهِمَا، فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ لهُما بَعْدَ مَوْتِهِمَا، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ البرِّ بِالْوَالِدَينِ، وَيَكُونُ لِلْوَلَدِ أَجْرٌ عَظِيْمٌ فِي ذٰلِكَ[4].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّىٰ هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[5].

وَفي الحَدِيثِ: «الحثُّ عَلَىٰ بِرِّ الْوَالِدَينِ وَعِظَمِ ثَوَابِهِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ عُقُوقِهِمَا وَعِظَمِ عِقَابِهِ»[6].

---

(١) المفهم (٦/ ٥١٨ ـ ٥١٩).
(٢) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (ص٣١٥٥).
(٣) فيض القدير (٧/ ٣٤٠٣).
(٤) الفتح الرباني (٩/ ٢٠٥).
(٥) رواه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وحسنه الألباني ؒ فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٥٣).
(٦) الفتح الرباني (١٩/ ١٢٧).

[٤٤] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الـوَالِـدُ أَوسَـطُ أَبْـوَابِ الـجَـنَّـةِ». فَـإِنْ شِـئْـتَ فَـأَضِـع ذٰلِـكَ الـبَـابَ أَوِ احْفَظهُ[١].

قَوْلُهُ: «الوَالِدُ أَوسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ» أَي: القِيَامُ بِحُقُوقِهِ وَالْتِزَامُ طَاعَتِهِ، وَالرِّفْقُ بِهِ وَالتَّذَلُّلُ لَهُ، وَمُرَاعَاةُ الأَدَبِ مَعَهُ[٢]، وَعَدَمُ عُقُوْقِهِ مُؤَدٍّ إِلَىٰ دُخُوْلِ الجَنَّةِ مِنْ أَوْسَطِ أَبْوَابِهَا. أَيْ: خَيْرُ الأَبْوَابِ وَأَعْلاهَا. وَالمعْنَىٰ: أَنَّ أَحْسَنَ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَيُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ وُصُولِ دَرَجَاتِهَا العَالِيَةِ، مُطَاوَعَةُ الوَالِدِ وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ[٣].

[٤٥] عَنْ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ: أَنَّهُ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ؟ فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟»، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الجَنَّةَ تحتَ رِجْلَيهَا»[٤].

أَيْ: مَنْ بَرَّ أُمَّهُ، وَقَامَ بِحَقِّهَا، وَتَذَلَّلَ لهَا، وَأَطَاعَهَا، وَأَتَىٰ بِكَرَائِمِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، مِنَ التَّوَاضُعِ وَالخدْمَةِ وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهَا، وَصَلَ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَدَخَلَهَا.

[٤٦] عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نِمْتُ فَرَأَيتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوتَ قَارِئٍ يَقرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَوا: هَذَا

---

(١) رواه الترمذي (١٩٠٠)، وصححه الألباني ﷺ فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٥٤٨).
(٢) انظر: المفهم (١/ ٢٧٩).
(٣) انظر: «فيض القدير» (١٢/ ٦٣٤٨)، و«تحفة الأحوذي» (٦/ ٢١)، و«شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة» (١٠/ ٣١٦٦).
(٤) رواه النسائي (٣١٠٤)، وصححه الألباني ﷺ فِي «صحيح سنن النسائي» (٢٩٠٨).

حَارِثَةُ بنُ النُّعْمَانِ» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كذٰلِكَ البِرُّ، كذٰلِكَ البِرُّ**»، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ[(١)].

قَوْلُهُ: «**كذٰلِكَ البِرُّ**»: المشَارُ إِلَيْهِ مَا سَبَقَ وَالمخَاطَبُونَ الصَّحَابَةُ؛ فَإِنَّهُ ﷺ رَأَىٰ هَذِهِ الرُّؤْيَا، وَقَصَّهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: «**حَارِثَةُ بنُ النُّعْمَان**» نَبَّهَهُم عَلَىٰ سَبَبِ نَيْلِ تِلْكَ الدَّرَجَةِ، فَقَالَ: «**كذٰلِكَ البِرُّ**» أَيْ: مِثْلُ تِلْكَ الدَّرَجَةِ، تُنَالُ بِسَبَبِ البرِّ.

وَفِيهِ مِنَ المبَالَغَةِ أَنَّهُ جَعَلَ جَزَاءَ البرِّ بِرّاً، تَنْبِيْهاً عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الدَّرَجَةَ القُصْيَا لا تُنَالُ إِلَّا بِبِرِّ الوَالِدَين[(٢)].

۞ كفالة اليتيم ۞

٤٧ عَنْ سَهلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ بينَهُمَا شَيْئاً[(٣)].

حَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هَذَا الحَدِيثَ، أَنْ يَرْغَبَ فِي العَمَلِ بهِ، لِيَكُونَ فِي الجَنَّةِ رَفِيقاً لِلنَّبيِّ ﷺ، وَلجَمَاعَةِ النَّبيِّينَ وَالمرْسَلينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِم أَجمَعِين، وَلَا مَنْزِلَةَ عِنْدَ الله فِي الآخِرةِ أَفْضَلُ مِنْ مُرَافَقَةِ الأَنْبِيَاءِ[(٤)].

وَفي هَذَا حَثٌّ عَلَىٰ كَفَالَةِ اليَتِيْمِ، وَكَفَالَةُ اليَتِيْمِ هِيَ القِيَامُ بِمَا

---

(١) رواه أحمد (٢٤١٨٩ و٢٥٢٩١ و٢٥٤٤٤)، والنسائي فِي «الكبرى» (٨٢٣٣). وصححه الألباني رحمه الله فِي «الصَّحيحة» (٩١٣).

(٢) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (١٠/ ٣١٦٥).

(٣) رواه البخاري (٥٣٠٤ و٦٠٠٥).

(٤) شرح صحيح البخاري (٩/ ٢١٧)، لابن بطَّال رحمه الله.

يُصْلِحُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، بِمَا يُصْلِحُهُ فِي دِينِهِ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّوجِيهِ وَالتَّعْلِيمِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ، وَمَا يُصْلِحُهُ فِي دُنْيَاهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالمسْكَنِ.

وَاليَتِيمُ حَدُّهُ البُلُوغُ، فَإِذَا بَلَغَ الصَّبِيُّ زَالَ عَنْهُ اليُتْمُ، وَإِذَا كَانَ قَبْلَ البُلُوغِ فَهُوَ يَتِيمٌ، هَذَا إِنْ مَاتَ أَبُوهُ. وَأَمَّا إِذَا مَاتَتْ أُمُّهُ دُونَ أَبِيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِيَتِيْمٍ.

وَإِنَّمَا كَانَ كَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ «لأَنَّ القِيَامَ عَلَىٰ اليَتِيمِ بِمَا يُصْلِحُهُ وَمَا يحفَظُهُ، وَيَصُونُهُ، لَا يُتَصَوَّرُ الدَّوَامُ عَلَيهِ إِلَّا مَعَ الصَّبرِ العَظِيمِ، وَمجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَالشَّيطَانِ، فَإِنَّهُما يُكَسِّلانِ عَنْ ذٰلِكَ، وَيُثَقِّلَانِهِ، وَيُفْسِدَانِ النِّيَّاتِ فِي ذٰلِكَ، وَلِذٰلِكَ قَلَّ مَنْ يُدَاوِمُ عَلَىٰ ذٰلِكَ العَمَلِ»[1].

۞ الحج المبرور ۞

٤٨ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «... **الحَجُّ المَبرُورُ لَيسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»[2].

الحَجُّ المبرُورُ هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِيْهِ أُمُورٌ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ خَالِصاً لله، بِأَنْ لَا يحمِلَ الإِنْسَانَ عَلَىٰ الحَجِّ إِلَّا ابْتِغَاءُ رِضْوَانِ الله وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ سبحانه وتعالى؛ لَا يُرِيْدُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، وَلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: فُلانٌ حَجَّ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ وَجْهَ الله.

الثاني: أَنْ يَكُونَ الحَجُّ عَلَىٰ صِفَةِ حَجِّ النَّبِيِّ ﷺ، يَعْنِي أَنْ يَتَّبِعَ الإِنْسَانُ فِيْهِ الرَّسُولَ ﷺ مَا اسْتَطَاعَ.

---

(١) انظر: المفهم (٦/ ٦١٣).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

الثالث: أَنْ يَكُونَ مِنْ مَالٍ مُبَاحٍ، لَيْسَ حَرَاماً، بِأَنْ لَا يَكُونَ رِبًا، وَلَا مِنْ غِشٍّ، وَلَا مِنْ مَيْسِرٍ، وَلَاً غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ المكَاسِبِ المحَرَّمَةِ، بَلْ يَكُونُ مِنْ مَالٍ حَلالٍ، وَلهَذَا قَالَ بَعْضُهُم:

يَا مَنْ حَجَجْتَ بمَالٍ أَصْلُهُ سُحْتٌ فَمَا حَجَجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ العِيرُ

يَعْنِي: الإبِلُ حَجَّتْ، أَمَّا أَنْتَ فَمَا حَجَجْتَ، لمَاذَا؟! لِأَنَّ مَالَكَ حَرَامٌ.

الرابع: أَنْ يجتَنِبَ فِيهِ الرَّفَثَ وَالْفُسُوقَ وَالجِدَالَ، لِقَوْلِ الله تَعَالىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فَيَجْتَنِبُ الرَّفَثَ وَهُوَ الجِمَاعُ وَدَواعيه، وَيجتَنبُ الفُسُوقَ، سَوَاءٌ كَانَ فِي القَولِ المحَرَّمِ: كَالغِيبَةِ، وَالنَّمِيْمَةِ، وَالكَذِبِ، أَوِ الفِعْلِ: كَالنَّظَرِ إِلَىٰ النِّسَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ تجَنَّبَ فِيهِ الرَّفَثَ وَالفُسُوقَ، وَالجِدَالَ: المجَادَلَةُ وَالمنَازَعَةُ بَينَ النَّاسِ في الحجِّ، هَذِهِ تُنْقِصُ الحَجَّ كَثِيراً. اللَّهُمَّ إِلَّا جِدَالاً يُرَادُ بِهِ إِثْبَاتُ الحَقِّ، وَإِبْطَالُ البَاطِلِ، فَهَذَا وَاجِبٌ، فَلَوْ جَاءَ إِنْسَانٌ مُبْتَدِعٌ يجَادِلُ، وَالإنْسَانُ مُحْرِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَترُكُهُ بلْ يجَادِلُهُ وَيُبَيِّنُ الحَقَّ؛ لِأَنَّ الله أَمَرَ بِذٰلِكَ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥][(١)].

۞ الصَّوم ۞

٤٩ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ**»[(٢)].

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٠٢) (٩٢١٤)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الجامع» (٣٨٨٠).

وَإِنَّمَا جُعِلَ الصَّوْمُ جُنَّةً، لأَنَّهُ يَقْمَعُ الهَوَىٰ وَالشَّهْوَةَ، مِصْدَاقُهُ قَوْلُهُ ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[١].

فَالشَّبَعُ «دَاعٍ إِلى أَنْواعٍ كَثِيْرَةٍ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ يُحَرِّكُ الجَوَارِحَ إِلى المعَاصِي، وَيُثَقِّلُهَا عَنِ الطَّاعَاتِ وَحَسْبُكَ بِهذينِ شَرّاً، فَكَمْ مِنْ مَعْصِيَةٍ جَلَبَهَا الشَّبَعُ وَفُضُولُ الطَّعَامِ، وَكَمْ مِنْ طَاعَةٍ حَالَ دُونَهَا. فَمَنْ وُقِيَ شَرَّ بَطْنِهِ فَقَدْ وُقِيَ شَرّاً عَظِيْماً، والشَّيطَانُ أَعْظَمُ ما يَتَحَكَّمُ مِنَ الإِنْسَانِ إِذا مَلأَ بَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَلِهذَا قَالَ ﷺ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[٢].

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ في الامْتِلاءِ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا أَنَّهُ يَدْعُو إِلى الغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وَجلَّ، وَإِذا غَفَلَ القَلْبُ عَنِ الذِّكْرِ سَاعَةً وَاحِدَةً جَثَمَ عَلَيهِ الشَّيطَانُ وَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ وَشَهَّاهُ، وَهَامَ بِهِ في كلِّ وَادٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ إذا شَبِعَتْ تَحَرَّكَتْ وَجالَتْ وَطَافَتْ عَلَىٰ أبوابِ الشَّهواتِ»[٣]، وَإِذَا صَامَتْ سَكَنَتْ وَخَشَعَتْ وَذَلَّتْ.

فَللَّهِ الحَمْدُ وَالمنَّةُ، عَلَىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ العَظِيمَةِ، وَالمِنْحَةِ الجَسِيمَةِ.

[٥٠] عَنْ عُثْمَانَ بن أَبي العَاص رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كَجُنَّةِ أَحَدِكُم مِنَ القِتَالِ**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٥ و٥٠٦٥ و٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٣٩).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤٩٨).

(٤) رواه النسائي (٢٢٣٠ و٢٢٣١ و٢٢٣٢)، وابن ماجه (١٦٣٩) واللفظ له. =

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: **الجُنَّةُ**: هِيَ مَا يَسْتَجِنُّ بِهَا العَبْدُ، كَالمِجَنِّ الَّذِي يَقِيهِ عِنْدَ القِتَالِ مِنَ الضَّرْبِ، فَكَذٰلِكَ الصِّيَامُ يَقِي صَاحِبَهُ مِنَ المعَاصِي في الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]، فَإِذَا كَانَ لَهُ جُنَّةٌ مِنَ المعَاصِي، كَانَ لَهُ في الآخِرَةِ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُنَّةٌ في الدُّنْيَا مِنَ المعَاصِي، لَمْ يَكُنْ لَهُ جُنَّةٌ في الآخِرَةِ مِنَ النَّارِ[١].

٥١ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوماً فِي سَبِيلِ الله، جَعَلَ الله بَينَهُ وَبَينَ النَّارِ خَنْدَقاً كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[٢].

فَمَنْ تَرَكَ رَاحَتَهُ وَلَذَّتَهُ، وَصَامَ يَوماً لله تَعَالىٰ، طَلَباً لمرْضَاتِهِ وَابْتِغَاءَ الزُّلْفَىٰ لَدَيهِ، فَهَذَا قَد تَاجَرَ مَعَ الله وَعَامَلَهُ، وَالله تَعَالىٰ لا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً، وَلا يخيبُ مَعَهُ مَنْ عَامَلَهُ؛ فَحُقَّ لَهُ أَنْ يَنَالَ مَقَاماً كَرِيْماً وَيُجَازَىٰ جَزَاءً عَظِيماً.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ الله جَلَّ وَعَزَّ، إِلَّا أَعْطَاكَ الله خَيْراً مِنْهُ**»[٣].

فَعَلَينَا أَنْ نُكْثِرَ مِنَ الصِّيَامِ، لِنَنَالَ الثَّوَابَ مِنَ الكَرِيمِ الوَهَّابِ.

= وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن النسائي» (٢١٠٦ و٢١٠٧)، وفي «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٢٨).

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٣٩).

(٢) رواه الترمذي (١٦٢٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٣٢٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٧٩٥ و٢٠٨٠٢ و٢٣١٨٠) بسند صحيح.

٥٢ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: . . . يَا رَسُولَ الله فَمُرْني بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**». فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لَا يُرَىٰ فِي بَيْتِهِ الدُّخَانُ نَهَاراً إِلَّا إِذَا نَزَلَ بِهِم ضَيْفٌ، فَإِذَا رَأَوُا الدُّخَانَ نَهَاراً، عَرَفُوا أَنَّهُ قَدِ اعْتَرَاهُم ضَيْفٌ(١).

طَلَبَ الصَّحَابيُّ الجَليلُ أَبُو أُمَامَةَ رضي الله عنه مِنَ النَّبيِّ ﷺ، أَنْ يَدُلَّهُ عَلَىٰ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ، يَكُونُ سَبَباً لِدُخُولِ الجَنَّةِ. وَهذا إِنْ دَلَّ عَلَىٰ شَيءٍ، فَإِنَّما يَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ اهْتِمَامِ أَبي أُمَامَة رضي الله عنه بِالأَعْمَالِ الصَّالحَةِ.

فَأَرْشَدَهُ النَّبيُّ ﷺ إِلَىٰ الصَّوْمِ، مُبَيِّناً لَهُ أَنَّ الصَّوْمَ لا وَزْنَ لِثَوَابِهِ؛ لأَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَدْرَ مُضَاعَفَةِ ثَوَابِهِ إِلَّا الله عزَّ وجلَّ؛ لأَنَّهُ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ، و﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وَمَنْ نَظَرَ بِعَينِ المَعْرِفَةِ في هذا وَفَهِمَ مَعْنَاهُ حَقَّ فَهْمِهِ، اسْتَكْثَرَ مِنْ مِنْ هذا الخَيرِ العَظِيمِ، وَالأَجْرِ الجَسِيمِ.

٥٣ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوماً فِي سَبِيلِ الله، بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً**»(٢).

أيُّها الأَخُ المبَارَكُ: اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ الله ـ بِأَنَّ فَضْلَ الصَّومِ عَظِيمٌ، وَثَوَابُهُ جَسِيْمٌ، وَيَكْفِي في فَضْلِ الصَّومِ بِأَنَّهُ خَصْلَةٌ عَظِيْمَةٌ مِنَ الخِصَالِ الموجِبَةِ لِدُخُولِ الجَنَّةِ. وَذٰلِكَ لِأَنَّ الجَنَّةَ محْفُوفَةٌ بِالمكَارِهِ، وَالنَّارَ محْفُوفَةٌ بِالشَّهَوَاتِ، وَالصِّيَامُ هُوَ رَمْزُ السَّيْطَرَةِ عَلَىٰ الشَّهْوَةِ.

(١) رواه ابن حبّان «الإحسان» (٣٤٢٥)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح موارد الظمآن» (٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

وَفي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّومَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلي**»(١).

«وَالصَّائِمُ هُوَ الَّذِي صَامَتْ جَوَارِحُهُ عَنِ الآثَامِ، وَلِسَانُهُ عَنِ الكَذِبِ وَالْفُحْشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَبَطْنُهُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفَرْجُهُ عَنِ الرَّفَثِ؛ فَإِنْ تَكَلَّمَ، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يجرَحُ صَومَهُ؛ وَإِنْ فَعَلَ، لَمْ يَفْعَلْ مَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ، فَيَخْرُجُ كَلامُهُ نَافِعاً صَالحاً، وَكَذٰلِكَ أَعْمَالُهُ.

هذا هُوَ الصَّومُ المشْرُوعُ، لَا مجَرَّدُ إمْسَاكٍ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ»(٢).

فَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّوْرِ، وَالعَمَلَ بِهِ، وَالجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٣).

وَقَوْلُ الزُّورِ: هُوَ كُلُّ كَلاَمٍ مُحَرَّمٍ.

وَالعَمَلُ بِالزُّورِ: هُوَ كُلُّ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ.

وَعَنْ أَبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رُبَّ صَائمٍ لَيسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الجوعُ وَالعَطَشُ**»(٤).

«فَالصَّومُ هُوَ صَومُ الجَوَارِحِ عَنِ الآثَامِ، وَصَوْمُ البَطْنِ عَنِ الشَّرَابِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤ و١٩٠٤ و٥٩٢٧ و٧٤٩٢ و٧٥٣٨)، ومسلم (١١٥١) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الوابل الصيب (ص٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٣ و٦٠٥٧) وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. واللفظ للرواية الثانية.

(٤) رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٧١).

وَالطَّعَامِ، فَكَمَا أَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يَقْطَعُهُ وَيُفْسِدُهُ، فَهَكَذا الآثَامُ تَقْطَعُ ثَوَابَهُ وَتُفْسِدُ ثَمَرَتَهُ، فَتُصَيِّرُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَصُمْ»[١].

۞ الحياء ۞

٥٤ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الحيَاءُ مِنَ الإيمَانِ، وَالإيمَانُ**[٢] **فِي الجَنَّةِ؛ وَالبَذَاءُ**[٣] **مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ**»[٤].

اعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّ أَعْظَمَ الحيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الله تَعَالىٰ، الَّذِي نَتَقَلَّبُ في نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ، وَلا نَسْتَغْني عَنْهُ طَرْفَةَ عَينٍ، وَنَحْنُ تحْتَ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، لا يَغِيْبُ عَنْهُ مِنْ حَالِنَا وَقَوْلِنَا وَفِعْلِنَا شَيءٌ.

وَيَتَوَلَّدُ الحيَاءُ مِنَ «المعْرِفَةِ بِعَظَمَةِ الله وَجَلالِهِ وَقُدْرَتِهِ، لأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ تَعْظِيْمُ الله فِي قَلْبِ العَبْدِ، أَوْرَثَهُ الحَيَاءَ مِنَ الله وَالهَيبَةَ لَهُ، فَغَلَبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ ذِكْرُ اطِّلاعِ الله العَظِيمِ إِلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَذِكْرُ المقَامِ غَداً بَينَ يَدَيْهِ، وَسُؤَالُهُ إِيَّاهُ عَنْ جمِيْعِ أَعْمَالِ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَذِكْرُ دَوَامِ إِحْسَانِهِ إِلَيهِ، وقِلَّةُ الشُّكْرِ مِنْهُ لِرَبِّهُ. فَإِذَا غَلَبَ ذِكْرُ هَذِهِ الأُمُورِ عَلَىٰ قَلْبِهِ، هَاجَ مِنْهُ الحَيَاءُ مِنَ الله، فَاسْتَحْيَىٰ مِنَ الله أَنْ يَطَّلِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لِشَيءٍ ممَّا يَكْرَهُ، أَوْ عَلَىٰ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ،

---

(١) الوابل الصَّيب (ص٤٧).

(٢) أي أهله فِي الجَنَّة.

(٣) أي الفحش فِي القولِ، والسوء فِي الخلق.

(٤) رواه الترمذي (٢٠٠٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٣٤).

يَتَحَرَّكُ بِمَا يَكْرَهُ، فَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَمَنَعَ جَوَارِحَهُ مِنْ جمِيْعِ مَعَاصِيهِ»[1].

عَنْ سَعِيدِ ابنِ يزيدٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَوْصِنِي، قَالَ: «**أُوْصِيْكَ أَنْ تَسْتَحِي مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلاً مِنْ صَالِحِي قَومِكَ**»[2].

فَقُلْ لِنَفْسِكَ: لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَوْمِي يَرَانِي، أَوْ يَسْمَعُ كَلامِي، لاسْتَحَيْتُ مِنْهُ، فَكَيْفَ لَا أَسْتَحِي مِنْ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ثُمَّ لَا آمَنُ تَعْجِيْلَ عُقُوْبَتِهِ وَكَشْفَ سَتْرِهِ؟!

فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ الله يَرَاهُ حَيْثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلانِيَتِهِ، وَاسْتَحْضَرَ ذٰلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوْجَبَ لَهُ ذٰلِكَ تَرْكَ المعَاصِي فِي السِّرِّ.

قَالَ القَحْطَانيُّ رَحِمَهُ اللهُ[3]:

وَإِذَا خلوتَ بريبةٍ فِي ظُلمةٍ ... والنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ الطُّغْيَانِ
فاستَحِي مِنْ نَظرِ الإلٰهِ وَقُلْ لها إِنَّ ... الذي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي

وَكَانَ ابنُ السَّماكِ يُنْشِدُ:

يا مُدمِنَ الذَّنبِ أَمَا تَسْتَحي وَالله ... فِي الخَلْوَةِ ثَانِيكَا
غَرَّكَ مِنْ ربِّكَ إمهالُهُ ... وَسَتْرُهُ طُولَ مَساوِيكَا

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الخَصْلَةِ المُبَارَكَةِ، «وَلْيَجعَلْهَا

---

(١) تعظيم قدر الصَّلاة (٢/ ٨٢٦).
(٢) أخرجه أحمد فِي «الزهد» (ص٥٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح الجامع» (٢٥٤١).
(٣) نونية القحطاني (ص٩٠).

سَيْرَهُ وَسُلُوكَهُ وَيَبْنِي عَلَيْهَا عُلُوْمَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَحْوَالَهُ، فَمَا نَتَجَ مَنْ نَتَجَ إِلَّا مِنْهَا، وَلا تَخَلَّفَ مَنْ تَخَلَّفَ إِلَّا مِنْ فَقْدِهَا.

وَاللهُ المُسْتَعَانُ وَعَلَيهِ التُّكْلانُ، وَإِليهِ الرَّغْبَةُ، وَهُوَ المسْؤولُ بِأنْ يُوَفِّقَنَا وَسَائرَ إِخْوَانِنا مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ لِتَحْقِيقِهَا عِلْماً وَعَمَلاً، إنَّهُ وَليُّ ذٰلِكَ وَالْمَانُّ بِهِ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيل»[1].

۞ حفظ اللسان والفرج ۞

[٥٥] عَنْ سَهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَن يَضمَنْ لِي مَا بَينَ لَحيَيهِ، وَمَا بَينَ رِجلَيهِ، أَضمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»[2].

هذا حَدِيْثٌ عَظِيْمُ الشَّأنِ، جَلِيْلُ المقْدَارِ.

وَالمرادُ بما بين اللَّحْيَينِ: اللِّسَانُ، وَالمَقْصُودُ: حِفْظُهُ وَكَفُّهُ عَنِ القَولِ المُحَرَّمِ، مِنَ الكَذِبِ وَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ والغشِّ وغيرِ ذٰلِكَ. وَهُوَ سببٌ فِي أَكْثَرِ المَهالِكِ، وَسَالِكٌ بِصَاحِبِهِ ـ إِنْ لَمْ يَصُنْهُ ـ في أَسْوَءِ المسَالِكِ.

وَالمرَادُ بِمَا بَيْنَ الرِّجْلَينِ: الفَرْجُ، وَصَونُهُ مِنْ أَعْظَمِ مَرَاتِبِ الدِّينِ. قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٦].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا شَبَابَ قُرَيشٍ،**

(١) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه (ص٤٦)، تحقيق: الشيخ عبد الله بن محمد المديفر حفظه الله.

(٢) رواهُ البخاري (٦٤٧٤ و٦٨٠٧)، واللفظ للرواية الأولى.

لا تَزْنُوا، أَلَا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الجَنَّة»[1].

وَاعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّ «أَعْظَمَ البَلاءِ عَلَىٰ العَبْدِ فِي الدُّنْيَا اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّهُمَا فَقَد وُقِيَ أَعْظَمَ الشَّرِّ»[2].

نَسْأَلُ الله تَعَالىٰ أَنْ يُوَفِّقَنَا لما يُرْضِيْهِ مِنَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الخَلَلِ وَالخَطأ وَالزَّلَلِ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ[3].

۞ الإحسان إلى الحيوان ۞

٥٦ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ رَجُلاً رَأَىٰ كَلْباً يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ العَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّىٰ أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ الله لَهُ فَأَدْخَلَهُ الجَنَّة**»[4].

وَفي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ الفِقْهِ: أَنَّ الإِحْسَانَ إِلَىٰ البَهَائِمِ مِنْ أَعْمَالِ البرِّ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ المؤْمِنِ أَنْ يحْتَقِرَ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِ البرِّ، فَرُبَّمَا دَخَلَ الجَنَّةَ بِأَقَلِّهَا؛ أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا فِي هَذَا الحَدِيثِ مِنْ أَنَّ الله شَكَرَ لَهُ إِذْ سَقَىٰ كَلْباً فَأَدْخَلَهُ الجَنَّة!

وَهَذَا مِصْدَاقُ قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذٰلِكَ**»[5].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٠٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٦٩ و٥٤٢٥ و٥٤٢٦). وحسنَّه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٢٤١٠).
(٢) شرح صحيح البخاري (١٠/١٨٦)، لابن بطال رحمه الله.
(٣) الأربعون الصَّحيحة (ص٥٤).
(٤) رواه البخاري (١٧٣ و٢٣٦٣ و٢٤٦٦ و٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤).
(٥) رواه البخاري (٦٤٨٨).

وَقَالَ الحَكِيمُ:

وَمَتَىٰ تَفْعَلُ الكَثِيرَ مِنَ الخَيْـ ـرِ إِذَا كُنْتَ تَارِكاً لأَقَلِّهِ[1]

وَفِيهِ الحَثُّ عَلَىٰ الإحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ، لأَنَّهُ إِذَا حَصَلَ دُخُولُ الجَنَّةِ بِسَبَبِ سَقْيِ الْكَلْبِ، فَمَا ظَنُّكُم بِمَنْ[2] يَصْنَعُ بِمُؤْمِنٍ مَعْرُوْفاً، مِنْ إِطْعَامٍ، وَسَقْيٍ، وَكُسْوَةٍ، وَإِعَانَةٍ، وَإِغَاثَةٍ، وَلِقَاءٍ بِبِشْرٍ؟!**[3]**

وَفِيهِ عِظَمُ فَضْلِ اللهِ وَسَعَةِ رَحمَتِهِ، فَهُوَ يُعْطِي العَطَاءَ الجَزِيلَ عَلَىٰ العَمَلِ القَلِيلِ.

۞ تقوى الله وحسن الخلق ۞

[٥٧] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ الله وَحُسْنُ الخُلُقِ**»[4].

التَّقْوىٰ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مِنْ أَجمَعِ الْكَلِمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَعْنَاهَا: اتخَاذُ وِقَايَةٍ مِنْ عَذَابِ الله، أَنْ يَتَّخِذَ الإِنْسَانُ وِقَايَةً مِنْ عَذَابِ الله، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا بِفِعْلِ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَلَا يَكُونُ فِعْلُ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي إِلَّا بِعِلْمِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي. إِذاً فَلا بُدَّ مِنْ عِلْمٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ عَمَلٍ، فَإِذا اجْتَمَعَ لِلإِنْسَانِ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ، نَالَ بِذٰلِكَ خَشْيَةَ الله، وَحَصَلَتْ لَهُ التَّقْوىٰ[5].

أَمَّا حُسْنُ الخُلُقِ: فَهُوَ صِفَةٌ جَامِعَةٌ لِلْخِصَالِ السَّنِيَّةِ وَالشَّمَائِلِ

---

(١) انظر: التمهيد (٢٢/ ١٢).

(٢) شرح صحيح الأدب المفرد (١/ ٥٠٠).

(٣) الأربعون الصَّحيحة فيما دون أجر المنيحة (ص٣١).

(٤) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسَّنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٦٣٠).

(٥) شرح رياض الصَّالحين (٣/ ٣٣١).

البَهِيَّةِ، وَ«مَعْنَاهُ: بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَطلاقَةُ الْوَجْهِ.

بَذْلُ النَّدىٰ: يَعْني العَطَاءَ، فَيَبْذُلُ العَطَاءَ مِنْ مَالٍ وَعِلْمٍ وَجَاهٍ وَغَيرِ ذٰلِكَ.

كَفُّ الأذىٰ: بِأَنْ لَا يُؤْذِي أَحَداً لَا بِلِسَانِهِ وَلَا بِجَوارِحِهِ، لَا بِالْقَوْلِ وَلَا بِالْفِعْلِ.

وَطَلاقَةُ الوَجْهِ: بِأَنْ يُلاقِي النَّاسَ بِوَجْهٍ مُنْطَلِقٍ، لَيْسَ بِعَبُوْسٍ وَلَا مُصَعِّرٍ خَدَّهُ»[1].

قَالَ ابْنُ القَيِّم ﷺ: «جمَعَ النَّبيُّ ﷺ بَينَ تَقْوَىٰ الله وَحُسْنِ الخُلُقِ؛ لِأَنَّ تَقْوَىٰ الله تُصْلِحُ مَا بَينَ العَبْدِ وَبَينَ رَبِّهِ، وَحُسْنَ الخُلُقِ يُصْلِحُ مَا بَينَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ: فَتَقْوَىٰ الله تُوْجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ الله. وَحُسْنُ الخُلُقِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ محَبَّتِهِ»[2].

[٥٨] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيتٍ فِي أَعلَىٰ الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**»[3].

قَالَ ابْنُ القَيِّم ﷺ: فَجَعَلَ الْبَيْتَ العُلْوِيَّ جَزَاءً لأَعْلىٰ المقَامَاتِ الثَّلاثَةِ وَهِيَ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالأَوْسَط لأَوْسَطِهَا وَهُوَ تَرْكُ الْكَذِبِ، وَالأَدْنىٰ لأَدْنَاهَا وَهُوَ تَرْكُ المماراةِ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ حَقٌّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ

---

(١) انظر: شرح رياض الصَّالحين (٢/ ٣٨٧).

(٢) فوائد الفوائد (ص٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني ﷺ فِي «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٥).

حُسْنَ الخُلُقِ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ هَذَا كُلِّهِ[1].

فَيَا لهَا مِنْ ثَلاثَةٍ، مَا أَجَلَّهَا وَأَعْلاهَا، وَمَا أَعْظَمَ حَظَّ مَنْ نَالهَا وَتَبَوَّأَ عُلاهَا[2].

۞ حسن الكلام وإطعام الطّعام ۞

٥٩ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفاً[3] يُرَىٰ ظُهُورُهَا[4] مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**»، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «**هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ لله بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[5].

الله أَكْبَر!! مَا أَحْلىٰ تِلْكَ الْغُرَفَ وَمَا أَعْلاهَا، وَمَا أَبْهَاهَا وَمَا أَطْيَبَهَا!!

قَالَ ابْنُ القَيِّم رحمه الله:

غُرُفَاتُهَا فِي الجوِّ يُنْظَرُ بطنُها ... مِنْ ظَهْرِها وَالظهرُ من بطنانِ
سُكَّانُها أَهْلُ القِيَامِ مَعَ الصِّيا ... مِ وطيِّبِ الكلماتِ وَالإِحسَانِ[6]

هؤلاءِ الأَقْوَامُ، أَطَابُوا الكَلامَ، وَبَذَلُوا الطَّعَامَ، وَأَدَامُوا الصِّيَامَ، وَصَلَّوْا بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ وَانْفَرَدُوا عَنِ الأَنَام، وَخَلَوْا لمنَاجَاةِ الملِكِ العَلَّام؛ يَطْلُبُونَ رضَىٰ ذي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ. فَآهٍ لهِمَمِهم إِنَّهَا عَالِيَةٌ؛ وَآهٍ لمطْلُوبَاتِهم إِنَّهَا غَالِيَةٌ.

---

(١) تهذيب مدارج السالكين (ص٦٥٧).
(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات العَلَّامَةِ السعدي رحمه الله (٦/ ٢٤).
(٣) أي المنازل المرفوعة.
(٤) أي لغاية صفائها ونظافتها.
(٥) رواه الترمذي (١٩٨٤ و٢٥٢٧)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٦١٦ و٢٠٥١).
(٦) الكافية الشّافية (ص٣٦١).

هَذِهِ عَلامَاتُ الصَّادِقِينَ. هَذِهِ مَدَائِحُ المؤْمِنِينَ. هَذِهِ آثَارُ المتَّقِينَ. هَذِهِ صِفَاتُ المجْتَهِدِينَ. هَذِهِ خِصَالُ المبَادِرِينَ.

«واعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلىٰ آخِرِهَا وَكُلَّ مَا فِيْهَا، في جَنْبِ مَا يُؤْتَاهُ أَدْنىٰ أَهْلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً، أَقَلُّ مِنْ قَطْرَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ البَحْرِ، فَكَيفَ بِمَا يُؤتَاهُ أَهْلُ الدَّرَجَاتِ العُلى، ممَّا لمْ تَرَهُ العُيُونُ، وَلَمْ تَسْمَعْهُ الآذانُ، وَلمْ يخطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ؟!»[1].

جَعَلَنَا الله وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

٦٠ عَنْ هانيءِ بنِ يزيد رضي الله عنه: أَنَّهُ لمَّا وَفَدَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: أَخْبِرْنِي بِأَيِّ شَيءٍ يُوْجِبُ لي الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**عَلَيْكَ بِحُسْنِ الكَلامِ، وَبَذْلِ الطَّعَامِ**»[2].

«**حُسْنُ الكَلامِ**»: أَيْ: مَا وَافَقَ الشَّرْعَ مِنْ خَيرٍ أَو بِرٍّ، أَو أَمْرٍ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَنَحْوِ ذٰلِكَ.

وَ«**بَذْلُ الطَّعَامِ**»: إِطْعَامُهُ وَتَوزِيعُهُ فِي وُجُوهِ الخَيرِ المعْرُوفَةِ[3].

❁ الصبر عِنْدَ الصَّدمة الأولى ❁

٦١ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ سُبحَانَهُ: ابنَ آدَمَ! إِنْ صَبَرتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ**»[4].

---

(١) البرهان في بيان القرآن (ص٢٨١)، لابن قدامة المقدسي رحمه الله ـ نقلاً عَنْ مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٩، من العام ١٤٠٧ ـ.

(٢) رواه البخاري فِي «الأدب المفرد» (٨١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٦٢٣).

(٣) شرح صحيح الأدب المفرد (٢/ ٥١٠).

(٤) رواه ابن ماجه (١٥٩٧)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٩٨).

أَشَارَ النَّبيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ ـ العَظِيم النَّفْع ـ إلىٰ أَنَّ الصَّبرَ الشَّاقَّ عَلَىٰ النَّفْسِ، الَّذِي يَعْظُمُ الثَّوابُ عَلَيهِ، هُوَ مَا يَكُونُ فِي أَوَّلِ وُقُوعِ البَلاءِ وَمُفَاجَأةِ المُصِيْبةِ، فَيُفَوِّضُ وَيُسَلِّمُ، فَيَدُلُّ ذٰلِكَ عَلَىٰ قُوَّةِ الْقَلْبِ وَثَبَاتِهِ فِي مَقَامِ الصَّبرِ.

«وَإِلَّا فَمَتَىٰ تَضَجَّرَ وَتَقَلَّقَ في أَوَّلِ وَهْلَةٍ، ثُمَّ يَئِسَ فَيَصْبِر، لا يَكُوْنُ حَصَلَ المقْصُوْدُ»(١).

وَزِيَادَةً عَلَىٰ الصَّبرِ وَالاحْتِسَابِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولىٰ، فَقَدْ عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نَدْعُوَ الله تَعَالىٰ، وَنَسْأَلَهُ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَالتَّعْويضَ بِخَيرٍ مِنَ المصِيْبَةِ الَّتي وَقَعَتْ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيْبُهُ مُصِيْبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ! أجُرْنِّي فِي مُصِيْبَتِي وَأَخْلِفْ لي خَيراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيراً مِنْهَا**»(٢).

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ مِنْ أَبْلَغِ عِلاَجِ المُصَابِ، وَأَنْفَعِهِ لَهُ في عَاجِلَتِهِ وَآجِلَتِهِ؛ فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَصْلَينِ عَظِيمَينِ، إذا تَحقَّقَ العَبْدُ بِمَعْرِفَتِهِمَا، تَسَلَّى عَنْ مُصِيبَتِهِ.

أَحَدُهُمَا: أَنَّ العَبْدَ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ مُلْكٌ للهِ عزَّ وجلَّ حَقِيقَةً، وَقَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ العَبْدِ عَارِيَةً، فَإِذا أَخَذَهُ مِنْهُ، فَهُوَ كَالمُعِيرِ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنَ المُسْتَعِيرِ، وَأَيضاً فَإِنَّهُ مَحْفُوفٌ بِعَدَمَينِ: عَدَم قَبْلَهُ، وَعَدَم بَعْدَهُ، وَمُلْكُ العَبْدِ لَهُ مِتْعَةٌ مُعَارَةٌ في زَمَنٍ يَسِيرٍ، وَأَيضاً فَإِنَّهُ لَيسَ الَّذِي أَوجَدَهُ عَنْ

---

(١) فتح الباري (١٢/ ١٠١).

(٢) رواه مسلم (٩١٨).

عَدَمِهِ، حَتَّى يَكُونَ مُلْكَهُ حَقِيقَةً، وَلا هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهُ مِنَ الآفَاتِ بَعْدَ وُجُودِهِ، وَلا يُبْقِي عَلَيهِ وُجُودَهُ، فَلَيسَ لَهُ فِيهِ تَأثِيرٌ، وَلا مُلْكٌ حَقِيقِيٌّ . . .

وَالثَّانِي: أَنَّ مَصِيرَ العَبْدِ وَمَرْجِعَهُ إِلى اللهِ مَولاَهُ الحَقِّ، وَلا بُدَّ أَنْ يُخَلِّفَ الدُّنْيا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَيَجِيءَ رَبَّهُ فَرْداً كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِلا أَهْلٍ وَلا مَالٍ وَلا عَشِيرَةٍ، وَلَكِنْ بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيئاتِ، فَإِذا كَانَتْ هَذِهِ بِدَايَةَ العَبْدِ وَمَا خُوِّلَهُ وَنِهَايَتَهُ، فَكَيفَ يَفْرَحُ بِمَوجُودٍ، أَو يَأسَى عَلَىٰ مَفْقُودٍ؟! فَفِكْرُهُ فِي مَبْدَئِهِ وَمَعَادِهِ، مِنْ أَعْظَمِ عِلاَجِ هَذَا الدَّاءِ[1].

فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ أَنْ يَتَصَبَّرَ وَيحْتَسِبَ الأَجْرَ عِنْدَ اللهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ عِظَمَ الثَّوابِ مَعَ عِظَمِ المصَابِ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا عَظُمَتِ المُصِيْبَةُ كَثُرَ الثَّوَابُ[2].

۞ الصَّبر عَلَىٰ فقد البصر ۞

[٦٢] عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنهُمَا الجَنَّةَ**» يُرِيدُ عَينَيهِ[3].

قَوْلُهُ: «**إِذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيْبَتَيْهِ**» وَالمرَادُ بِالحَبِيْبَتَيْنِ المحْبُوبَتَانِ لأَنَّهَا أَحَبُّ أَعْضَاءِ الإِنْسَانِ إِلَيهِ، لما يحْصُلُ لَهُ بِفَقْدِهِمَا مِنَ الأَسَفِ عَلَىٰ فَوَاتِ رُؤْيَةِ مَا يُرِيْدُ رُؤْيَتَهُ مِنْ خَيرٍ فَيُسَرُّ بِهِ، أَوْ شَرٍّ فَيَجْتَنِبَهُ.

قَوْلُهُ: «**فَصَبَر**» وَالمرَادُ أَنَّهُ يَصْبِرُ مُسْتَحْضِراً مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ الصَّابِرَ

---

(١) زاد المعاد (٤/١٨٩).
(٢) شرح رياض الصالحين (٤/٣٠٨).
(٣) رواه البخاري (٥٦٥٣).

مِنَ الثَّوابِ، لا أَنْ يَصْبِرَ مجَرَّداً عَنْ ذٰلِكَ، لأَنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَابْتِلاءُ الله عَبْدَهُ في الدُّنْيَا لَيْسَ مِنْ سَخَطِهِ عَلَيْهِ، بَلْ إِمَّا لِدَفْعِ مَكْرُوهٍ، أَوْ لِكَفَّارَةِ ذُنُوبٍ، أَوْ لِرَفْعِ مَنْزِلَةٍ، فَإِذا تَلَقَّىٰ ذٰلِكَ بِالرِّضَا تَمَّ لَهُ المرَادُ.

قَوْلُهُ: «**عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّة**» وَهَذَا أَعْظَمُ العِوَضِ؛ لأَنَّ الالْتِذَاذَ بِالْبَصَرِ يَفْنَىٰ بِفَنَاءِ الدُّنْيَا، وَالالْتِذَاذُ بِالجَنَّةِ بَاقٍ بِبَقَائِهَا، وَهُوَ وَاقِعٌ لِكُلِّ مَنْ وَقَعَ لَهُ ذٰلِكَ بِالشَّرْطِ المذْكُورِ[١].

فَقَد دَلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَىٰ أَنَّ العَبْدَ إِذَا فَقَدَ عَيْنَيْهِ وَصَبَرَ، عَوَّضَهُ الله بِهِمَا الجَنَّةَ؛ لِأَنَّ العَينَ مَحْبُوبَةٌ لِلإِنْسَانِ، فَإِذا أَخَذَهُمَا الله ﷻ وَصَبرَ الإنْسَانُ وَاحْتَسَبَ، فَإِنَّ الله يُعَوِّضُهُ بِهِمَا الجَنَّة[٢].

وَالجَنَّةُ تُسَاوي كُلَّ الدُّنْيَا، بَلْ قَدْ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَوضِعُ سَوطِ أَحَدِكُم مِنَ الجَنَّةِ، خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[٣]. سَوْطُ الإِنْسَانِ العَصَا القَصِيرُ، مَوْضِعُ السَّوطِ فِي الجَنَّةِ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا، وَلَيْسَتْ دُنْيَاكَ أَنْتَ، بَلِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا، بِمَا فِيْهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالملْكِ وَالرَّفَاهِيَّةِ وَغَيْرِهَا[٤].

❁ البكاء من خشية الله ❁

٦٣ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِنْ خَشيَةِ الله، حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرعِ...**»[٥].

---

(١) فتح الباري (٣/ ١٢١).

(٢) شرح رياض الصَّالحين (١/ ١٣٠).

(٣) رواه البخاري (٢٨٩٢ و٣٢٥٠ و٦٤١٥)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٤) تفسير جزء عم (ص٢٠٥)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

(٥) رواه الترمذي (١٦٣٣)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٣٣٣).

قَوْلُهُ: «**لا يلج**» مِنَ الوُلُوجِ، أَيْ: لا يَدْخُل.

قَوْلُهُ: «**حتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ**» هَذَا مِنْ باب التَّعْلِيقِ بِالمحَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠][(١)].

هذا وَالله شَأنٌ عَظيمٌ وَخَطْبٌ جَسِيمٌ. فإذا جرَتِ الدُّمُوعُ، مِنْ خَشيةِ عَلاَّم الغُيُوب، بَلَغْتَ المنىٰ وَالمرْغُوبَ.

وَاعْلَمْ ـ بارك الله فيك ـ بِأَنَّكَ مُتَعَرِّضٌ لأَهْوَالٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الموتِ وَالقَبْرِ وَأهْوالِ البرْزَخِ وَأهْوَالِ الموقفِ، كَالصِّراطِ وَالميزَانِ. وَأَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ الوُقوفُ بَينَ يَدَي الله ﷻ. فَأينَ أنتَ مِنَ البُكاء مِنْ خَشْيَةِ الله؟!

٦٤ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﭭ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**عَينَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَينٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَينٌ بَاتَت تَحرُسُ فِي سَبِيلِ الله**»[(٢)].

ولو لَمْ يَكُنْ فِي فضلِ البكاءِ إلَّا هَذَا الحديث، لكانَ كافياً لذوي الأسماعِ والأبصارِ.

وَلله دَرُّ القَائلِ:

فَعَينٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله حُرِّمَتْ عَلَىٰ النَّارِ فِي نَصِّ الحدِيثِ المُسَدَّدِ

أَيُّها الأَخُ المُبَارَكُ: دَمْعَةٌ مِنْ خَشْيَةِ الله تَشْتَري بها الجَنَّةَ، فهيَ منْ أَسْبَابِ دُخُولهَا، فَهَلْ أَنْتَ مُشْتَرٍ، وَهَلْ مَعَكَ الثَّمن؟

إِنَّهُ ثَمَنٌ غَالٍ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ. فَكَمْ يَبْكِي الْعَبدُ عَلَىٰ

(١) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٩٤).

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (١٣٣٨).

فَوَاتِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ الحَقِيرةِ الزَّائِلَةِ، أَوْ عَلَىٰ فِرَاقِ حَبِيبٍ، وَلَا يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟!

فَعَلَيكَ بِاغْتِنَامِ هَذِهِ الخصْلَةِ الشَّرِيفَةِ، وَبَذْلِ المَجْهُودِ فِيهَا، تَكُنْ مِنَ الفَائِزِينَ. والله تَعَالىٰ وليُّ التوفيق.

۞ إماطة الأذى عن الطّريق ۞

٦٥ عَنْ أبي هريرةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لَقَد رَأيتُ رجلاً يتقلَّبُ فِي الجَنَّةِ، فِي شَجرةٍ قطعَها مِنْ ظهرِ الطَّريقِ، كانتْ تؤذي النَّاس**»[1].

وفي الحديث: دليلٌ عَلَىٰ فضيلة إزالة الأذىٰ عَنْ الطَّريق، وأَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّة.

فَإِذَا وَجَدْتَ أَذًى فِي الطَّرِيقِ؛ حَجَراً أَوْ زُجَاجاً أَوْ شَوْكاً أَوْ غيرَ ذٰلِكَ، فَأَزِلْهُ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ الإيمانِ.

وَفيهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَزَالَ عَنِ المسْلِمِينَ الأَذىٰ، فَلَهُ هَذَا الثَّوَابُ العَظِيمُ فِي أَمْرٍ حِسِّيٍّ، فَكَيفَ بِالأَمْرِ المعْنَوِيِّ؟!

المُهِمُّ أَنَّ إِزَالَةَ الأَذىٰ عَنِ الطَّرِيقِ؛ الطَّرِيقِ الحسيِّ طَرِيقِ الأَقْدَام، وَالطَّريقِ المعْنَويِّ طَرِيقِ القُلُوبِ، وَالعَمَلِ عَلَىٰ إِزَالَةِ الأَذىٰ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَهذا الطَّرِيق، كُلُّهُ ممَّا يُقَرِّبُ إِلَىٰ الله. وَإِزَالَةُ الأَذىٰ عَنْ طَرِيقِ القُلُوبِ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ أَعْظَمُ أَجْراً وَأَشَدُّ إِلحَاحاً، مِنْ إِزَالةِ الأَذىٰ عَنْ طَريقِ الأَقْدَامِ[2].

---

(١) رواه مسلم (١٩١٤) [وبعد الحديث (٢٦١٧)].

(٢) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٥٢٩ ـ ٥٣١).

٦٦ عَنْ مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَعْقِلٍ المزنيِّ، فَأَمَاطَ أَذًى عَنِ الطَّرِيقِ، فَرَأَيتُ شَيْئاً فَبَادَرْتُهُ، فَقَالَ: مَا حملَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: رَأَيتُكَ تَصْنَعُ شَيْئاً فَصَنَعْتُهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي! سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَمَاطَ أَذًى عَنْ طَرِيقِ المسْلِمِينَ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ تُقُبِّلَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[١].

فَمَنْ أَمَاطَ أَذًى عَنْ طَرِيقِ المسْلِمِينَ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَكَيفَ بِمَنْ يَضَعُ الأَذىٰ فِي طَرِيقِهِم، وَالهُمُومَ فِي قُلُوبِهِم، وَالطَّعْنَ فِي أَعْرَاضِهِم؟! فَإِنَّ هَذَا لهُوَ عَينُ البَغْيِ.

وَكَمَا أَنَّ جَزَاءَ مَنْ أَمَاطَ الأَذىٰ دُخُولُ الجَنَّةِ، فَجَزَاءُ مَنْ وَضَعَهُ النَّارُ، أَكَانَ هَذَا الأَذىٰ مَادياً أَوْ مَعْنَوِيّاً، وَاللهُ أَعْلَمُ[٢].

٦٧ عَنْ أَبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله دُلَّني عَلَىٰ عَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، قَالَ: «**أَمِطِ الأَذىٰ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ**»[٣].

وَفي الحَدِيثِ: فَضْلُ إِمَاطَةِ الأَذىٰ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُدْخِلُ العَبْدَ الجَنَّةَ، وَيَكُونُ سَبَباً فِي المغْفِرَةِ.

وَأَقُولُ: فَمَا وِزْرُ الَّذِي يَضَعُ الأَذىٰ وَيَتَسَبَّبُ فِيْهِ، مَاديّاً كَانَ أَمْ مَعْنَوِيّاً؟! وَكَيْفَ بِمَنْ يُؤْذِي المسْلِمِينَ فِي أَعْرَاضِهِم؟![٤]

---

(١) رواه البخاري فِي «الأدب المفرد» (٥٩٣)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الأدب المفرد» (٤٦١).
(٢) شرح صحيح الأدب المفرد (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠).
(٣) رواه مسلم (٢٦١٨)، والبخاري فِي «الأدب المفرد» (٢٢٨) واللفظ له.
(٤) شرح صحيح الأدب المفرد (١/ ٢٧١).

❁ عدم سؤال النَّاس شيئاً ❁

٦٨ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: . . . فَدَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ إِلَىٰ بَيْعَةٍ وَلَكَ الجَنَّة؟**» قُلْتُ: نَعَمْ وَبَسَطْتُ يَدِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ يَشْتَرِطُ: «**عَلَىٰ أَنْ لَا تَسْأَلَ النَّاسَ شيئاً**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**وَلَا سَوْطَكَ إِنْ يَسْقُطْ مِنْكَ، حَتَّىٰ تَنْزِلَ إِلَيْهِ فَتَأْخُذَهُ**»(١).

٦٩ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالجَنَّةِ؟**» فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحداً شَيْئاً(٢).

قَوْلُهُ: «**مَنْ يَكْفُلُ لِي**» مِنَ الْكَفَالَةِ، وَهِيَ الضَّمَانُ.

قَوْلُهُ: «**أَلَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً**» أَيْ: مَنْ يَلْتَزِمُ لِي عَدَمَ السُّؤَالِ.

قَوْلُهُ: «**وَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالجَنَّةِ**»: أَيْ: أَضْمَنُهَا لَهُ عَلَىٰ كَرَمِ الله وَفَضْلِهِ، وَهُوَ لَا يُخَيِّبُ ضَمَانَ نَبِيِّهِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ شِدَّةِ الاهْتِمَامِ بِشَأْنِ الْكَفِّ عَنِ السُّؤَالِ(٣).

يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ مَا يَلي:

١ ـ الحَثُّ عَلَىٰ عَدَمِ سُؤَالِ النَّاسِ، وَالاعْتِمَادُ عَلَىٰ النَّفْسِ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ؛ لأَنَّ فِي السُّؤَالِ إِرَاقَةَ مَاءِ الْوَجْهِ.

٢ ـ فَضِيلَةُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٧٢) (٢١٥٩١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح الترغيب» (٨١٠).

(٢) رواه أبو داود (١٦٤٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن أبي داود» (١٤٤٦).

(٣) فيض القدير (١١/ ٦٠٥٨).

٣ ـ حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ الالْتِزَام بِعُهُودِهِم، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ ثَوْبَانَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَه[1] أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلَا يَقُولُ لأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ حَتَّىٰ يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ[2].

وَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ شِفَاءٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، وَوَقَفَ عَلَىٰ مَعَانِيهِ. وَبِالله التَّوْفِيْق.

۞ الجهاد في سبيل الله ۞

[٧٠] عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**جَاهِدوا فِي سَبِيْلِ الله، فَإِنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيْلِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ، يُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ بِهِ مِنَ الهمِّ وَالغَمِّ**»[3].

[٧١] عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَقُولُ الله عزَّ وجلَّ: المجَاهِدُ فِي سَبِيْلِ الله هُوَ عَلَيَّ ضَامنٌ، إنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّة، وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيْمَةٍ**»[4].

قَالَ ابنُ عَبْدِ البرِّ ﵀: وَفي هَذَا الحدِيثِ أَيضاً أَصْلٌ عَظِيمٌ، وَفَضْلٌ جَسِيْمٌ لِلْمُجَاهِدِ في سَبِيْلِ الله.

وَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ الأَعْمَالَ لا يَزْكُو مِنْهَا، إِلَّا مَا صَحِبَتْهُ النِّيَّةُ وَالإِخْلاصُ لله عزَّ وجلَّ وَالإيمانُ بِهِ.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٣٧) من حديث ثوبان ﵁، وصححه الألباني ﵀ في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٤٨٧).

(٢) بهجةُ الناظرين (١/ ٥٩٤).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣١٤) رقم (٢٢٧٨٣)، وصححه الألباني ﵀ في «صحيح الترغيب» (١٣١٩).

(٤) رواه الترمذي (١٦٢٠)، وصححه الألباني ﵀ فِي «صحيح سنن الترمذي» (١٣٢١).

وَفي هَذَا الحدِيثِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الغَنِيْمَةَ لا تُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ المجَاْهِدِ شَيْئاً، وَأَنَّ المجَاهِدَ وَافِرُ الأَجْرِ، غَنِمَ أَوْ لَمْ يَغْنَم(١).

نَسْأَلُ الله أَنْ يجْعَلَنَا وَإِيَّاكُم مِنَ المجَاهِدِيْنَ في سَبِيْلِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ(٢).

[٧٢] عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاْهِدِيْنَ فِي سَبِيْلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَينِ كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»**(٣).

في هَذَا الحدِيثِ بَيَانُ مَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله مِنْ عَظِيمِ الأَجْرِ، وَكَبِيرِ الثَّوَابِ. وَلَيسَ بِكَثِيرٍ عَلَىٰ مَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي نَصْرِ دِينِ الله، وَإِعْلاءِ كَلِمَتِهِ، أَنْ يُكْرِمَهُ الله بهَذِهِ الْكَرَامَةِ العَظِيْمَةِ(٤).

نَسْأَلُ الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُم الشَّهَادَةَ في سَبِيْلِهِ، وَأَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُم عَلَىٰ الجهَادِ في سَبِيْلِهِ: جِهَادِ أَنْفُسِنَا، وجِهَادِ أَعْدَائِنَا، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ(٥).

[٧٣] عَنْ عَبْدِ الله بن أَبي أَوفىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذا لَقِيْتُمُوْهُم فَاصْبرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تحتَ ظِلالِ السِّيُوفِ»**(٦).

وَقَوْلُهُ: «**الجَنَّةُ تحتَ ظِلالِ السِّيُوفِ**» هَذَا مِنَ الكَلامِ النَّفِيْسِ

---

(١) التمهيد (١٨/ ٣٤١).
(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤٥٤).
(٣) قطعة من حديث: أخرجه البخاري (٢٧٩٠ و٧٤٢٣).
(٤) تمام المنة (ص٩٣).
(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤٥٢).
(٦) رواه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢) واللفظ له.

البَدِيْعِ، الَّذِي جَمَعَ ضُرُوبَ البَلاغَةِ مِنْ جَزَالَةِ اللَّفْظِ، وَعُذُوبَتِهِ، وَحُسْنِ اسْتِعَارَتِهِ، وَشُمُولِ المعَاني الكَثِيرَةِ، مَعَ الأَلْفَاظِ المعْسُولَةِ الوَجِيْزَةِ، بِحَيثُ تَعْجَزُ الفُصَحَاءُ اللُّسْنُ البُلَغَاء عَنْ إِيرَادِ مِثْلِهِ، أَوْ أَنْ يَأْتُوا بِنَظِيرِهِ وَشَكْلِهِ. فَإِنَّهُ اسْتُفِيْدَ مِنْهُ مَعَ وَجَازَتِهِ الحَضُّ عَلَىٰ الجهَادِ، وَالإِخْبَارُ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ، وَالحَضُّ عَلَىٰ مُقَارَبَةِ العَدُوِّ، وَاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهَا، وَاجْتِمَاع المقَاتِلِينَ حِيْنَ الزَّحْفِ، بَعْضِهِم لِبَعْضٍ، حَتَّىٰ تَكُونَ سُيُوفُهُم بَعْضُهَا يَقَعُ عَلَىٰ العَدُوِّ، وَبَعْضُهَا يَرْتَفِعُ عَنْهُم، حَتَّىٰ كَأَنَّ السُّيُوفَ أَظَلَّتِ الضَّارِبِينَ بِهَا، وَيَعْنِي: أَنَّ الضَّارِبَ بِالسَّيفِ فِي سَبِيْلِ الله يُدْخِلُهُ اللهُ الجَنَّةَ بِذَٰلِكَ[1].

فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ: تُرْجى الشَّهَادَةُ لِمَنْ سَأَلهَا مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ، وَلَوْ لم يَتَيَسَّرْ لَهُ الاسْتِشْهَادُ في المعْرَكَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**»[2].

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُبَلِّغَنَا وَإِيَّاكُم مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَأَنْ يجْمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم في جَنَّاتِ النَّعِيْمِ[3].

۞ الرِّضَا بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً ۞

[٧٤] عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**»[4].

---

(١) المفهم (٣/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٩)، من حديث سهل بن حُنَيْف رضي الله عنه.

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤٦٣).

(٤) رواه أبو داود (١٥٢٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٥٣).

هَذَا الحَدِيْثُ عَلَيْهِ مَدَارُ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي، «وَقَدْ تَضَمَّنَ الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ، وَالانْقِيَادَ لَهُ، وَالرِّضا بدِينِهِ، وَالتَّسْلِيْمَ لَهُ، وَمَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الأَرْبَعَةُ: فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقّاً، وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَىٰ وَاللِّسَانِ، وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الأُمُورِ عِنْدَ حَقِيقَةِ الامْتِحَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يخَالِفُ هَوىٰ النَّفْسِ وَمُرَادَهَا، مِنْ ذٰلِكَ: تبَيَّنَ أَنَّ الرِّضا كَانَ لِسَانُهُ بِهِ نَاطِقاً، فَهُوَ عَلَىٰ لِسَانِهِ لَا عَلَىٰ حَالِهِ.

فَالرِّضَا بِإِلهِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِه وَحْدَهُ، وَخَوفِهِ، وَرَجَائِهِ، وَالإِنَابَةِ وَالتَّبَتُّلِ إِلَيهِ، وَذٰلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالإِخْلاصَ لَهُ.

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ رَاضِياً بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

والرِّضا بِنَبِيِّهِ رَسُولاً: يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمَ المطْلَقَ إِلَيْهِ، فَلا يَتَلقَّىٰ الهُدىٰ إِلَّا مِنْ وَاقِعِ كَلِمَاتِهِ، وَلَا يُحاكِمُ إِلَّا إِلَيهِ، وَلَا يُحَكِّمُ عَلَيهِ غَيرَهُ، وَلَا يَرْضَىٰ بِحُكْمِ غيرِهِ أَلبَتَّةَ، لَا فِي شَيءٍ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَلَا فِي شَيءٍ مِنْ أَحْكَامِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، لَا يَرْضَىٰ فِي ذٰلِكَ بِحُكْمِ غيرِهِ، وَلَا يَرْضَىٰ إِلَّا بِحُكْمِهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِيْنِهِ: فَإِذَا قَالَ، أَوْ حَكَمَ، أَوْ أمَرَ، أَوْ نَهىٰ: رَضِي كُلَّ الرِّضَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ، وَسَلَّمَ لَهُ تَسْليماً، وَلَوْ كَانَ مخَالِفاً لمرَادِ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاها، أَو قَولِ مُقلِّدِه هُوَ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ»[1].

---

(١) تهذيب المدارج (ص٥٧٦ ـ ٥٧٧).

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وَإِنَّما بَسَطْنا القولَ في هذا الحَدِيثِ، «لأَنَّ حَاجَةَ الخَلقِ إلَيْهِ شَدِيْدَةٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَحْتَاجُ إلىٰ معرفةِ هذا، ثُمَّ إلىٰ العَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، وَاللهُ المُوَفِّقُ والمُعِيْنُ»(١).

۞ الكلمة من رضوان الله تَعَالىٰ ۞

٧٥ عَنْ عَلقَمَةَ بنِ وَقَّاصٍ؛ قَالَ: سَمِعتُ بِلاَلَ بنَ الحَارِثِ المُزَنِيَّ، صَاحِبَ رَسولِ الله ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «**إنَّ أَحَدَكُم لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضوَانِ الله، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عزّ وجلَّ لَهُ بِهَا رِضوَانَهُ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُم لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ الله، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عزّ وجلَّ عَلَيهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَىٰ يَومِ يَلقَاهُ**». قَالَ عَلقَمَةُ: فَانْظُرْ، وَيحَكَ! مَاذَا تَقُولُ، وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ. فَرُبَّ كَلاَمٍ، قَد مَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلاَلِ بنِ الحَارِثِ(٢).

فَفِي هذا الحَدِيثِ ما يَزْجُرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلبٌ، أو أَلقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد، عَنْ آفَاتِ اللِّسَانِ.

لَيْتَنَا نَعْلَمُ قِيْمَةَ هَذَا الحَدِيْث.

لَيْتَنَا نَتَدَبَّرُ بُعْدَهُ وَمَرْمَاهُ وَمَا يُرْشِدُ إِلَيْهِ.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٦٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٠٥).

لَيْتَ القُلُوبَ تَعِي وَتُدْرِكُ مَعْنىٰ كَلام النَّبيِّ ﷺ، وَبِذٰلِكَ نَسْتَغْنِي عَنْ كَلامٍ كَثِيرٍ، وَنَنْجُو مِنْ مَصَائِبَ جمَّةٍ، وَأَوْزَارٍ ثَقِيلَةٍ[١].

لَيتَنا نَقُولُ كَمَا قَالَ عَلقَمَةُ رَحِمَهُ اللهُ.

فَيَا مُطْلِقاً لِسَانَهُ فِيمَا يُؤذِيهِ! يَا غَافِلاً عَنِ الكَلامِ وَلَهُ مَنْ يُحصِيهِ! إنْ أرَدْتَ قَولاً فَانْظُرْ قَبْلَ النُّطْقِ فِيهِ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ وَقَفَ عَلَىٰ قَدَمِ التَّيَقُّظِ حَارِساً عَلَىٰ فِيهِ.

٧٦ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله، لَا يُلقِي لَهَا بَالاً، يَرفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ. وَإِنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله، لَا يُلقِي لَهَا بَالاً، يَهوي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[٢].

وَقَوْلُهُ: «**مِنْ سَخَطِ الله**» أَيْ: مِمَّا يُسْخِطُ الله، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَكُونَ كَذِبَةً، أَوْ غِيْبَةً، أَوْ بُهْتَاناً، أَوْ بَخساً، أَوْ بَاطلاً يُضْحِكُ بِهِ النَّاسَ[٣]، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَيلٌ لِلَّذي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَومَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»[٤]. وَهَذا وَعِيدٌ عَلَىٰ أمْرٍ سَهْلٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ[٥].

وَمَا أَكْثَرَ الكَلِمَاتِ الَّتي يَتَكَلَّمُ بِهَا الإنْسَانُ غَيرَ مُبَالٍ بِهَا، وَغَيْرَ مُهْتَمٍّ بِمَدْلُوْلِهَا، فَتُرْدِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ[٦]. وَرُبَّ كَلِمَةٍ جَرَىٰ بِهَا اللِّسَانُ، هَلَكَ بِهَا الإنْسَانُ.

---

(١) حصائد الألسن (ص١٢١)، للشيخ حسن العوايشة حفظه الله.

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٣) انظر: المفهم (٦/ ٦١٦ ـ ٦١٧).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥) من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن أبي داود» (٤١٧٥).

(٥) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٢٠١).

(٦) المصدر السابق (١/ ٤٧٦).

وَقَوْلُهُ: «**لا يُلقِي لهَا بَالاً**» أَيْ لَا يُحْضِرُ لهَا قَلبَهُ، وَلَا يَلتَفِتُ لهَا الحَالُ وَالخَاطِرُ، وَلَا يَتَأَمَّلُ فِيْهَا وفي عَاقِبَتِهَا، وَلَا يَرَىٰ فِيْهَا بَأْساً.

«وَالمعْنىٰ: أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةِ الحقِّ يَظُنُّهَا قَلِيْلَةً، وَهِيَ عِنْدَ الله جَلِيْلةٌ، فَيَحْصُلُ لَهُ رِضْوَانُ الله. وَقَدْ يَتَكَلَّمُ بِسُوءٍ وَلا يَعْلَمُ أَنَّهُ كَذٰلِكَ، وَهُوَ عِنْدَ الله ذَنْبٌ عَظِيْمٌ، فَيَحْصُلُ لَهُ السُّخْطُ مِنَ الله»(١).

وَهَذَا الحَدِيْثُ فِيْهِ مِنَ الفِقْهِ: وُجُوبُ التَثَبُّتِ عِنْدَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، وَتحْرِيمُ التَّسُاهُلِ فِي شَيءٍ مِنَ الصَّغَائِرِ، وَمُلازَمَةُ الخَوفِ، وَالحَذَرُ عِنْدَ كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ(٢).

❁ التوكل وعدم الاسترقاء والتطير والاكتواء ❁

٧٧ عَنْ عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلفاً بِغَيرِ حِسَابٍ**» قَالُوا: مَنْ هُم يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**»(٣).

هذا حَدِيْثٌ شَرِيفٌ جَامِعٌ لمقَاصِدَ عَظِيْمَةٍ.

فَقَدِ اشْتَمَلَ هَذَا الحَدِيثُ عَلَىٰ صِفَةِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَتِلكَ الصِّفَةُ خَاصَّةٌ بِهِم، لَا يَلتَبِسُ أَمْرُهُم بِغَيرِهِم؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَالشَّامَةِ يُعْرَفُونَ بِهَا.

فَذَكَرَ أَرْبَعَ صِفَاتٍ:

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ١٣٦).
(٢) المفهم (٦/ ٦١٧).
(٣) رواه مسلم (٢١٨).

«**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ**» أَيْ: لَا يَطْلُبُونَ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِم لما يلي:

١ ـ لِقُوَّةِ اعْتِمَادِهِم عَلَىٰ الله.

٢ ـ لِعِزَّةِ نُفُوْسِهِم عَنِ التَّذَلُّلِ لِغَيرِ الله.

٣ ـ وَلما فِي ذٰلِكَ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيرِ الله[١].

عَنِ المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنِ اكْتَوَىٰ أَوِ اسْتَرْقىٰ، فَقَد بَرِىءَ مِنَ التَّوَكُّلِ**»[٢].

وَقَوْلُهُ: «**وَلا يَكْتَوُون**» أَيْ: لَا يَطْلُبُونَ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يَكْوِيهم إِذَا مَرِضُوا. لِأَنَّ الكَيَّ عَذَابٌ بِالنَّارِ، لَا يُلجَأُ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الحَاجَةِ.

وَقَوْلُهُ: «**وَلا يَتَطَيَّرون**» أَيْ: لَا يَتَشَاءَمُونَ لَا بِمَرْئي وَلَا بِمَسْمُوعٍ، وَلَا بِمَشْمُومٍ، وَلَا بِمَجْذُومٍ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** ـ ثلاثاً ـ **وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»[٣].

وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَدَّتْه الطِّيَرةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا كَفَّارَةُ ذٰلِكَ؟، قَالَ: «**أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُم: اللَّهُمَّ لَا خَيرَ إِلَّا خَيرُك، وَلَا طَيرَ إِلَّا طَيرُك، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ**»[٤].

---

(١) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ٩٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٥٥)، وصححه الألباني ﷺ في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٧٧).

(٣) رواه أبو داود (٣٩١٠)، وصححه الألباني ﷺ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٣٠٩).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٢٠) (٧٠٤٥)، وصححه الألباني ﷺ في «الصَّحيحة» (١٠٦٥).

وَقَدْ كَانَ العَرَبُ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَتَطَيَّرُونَ، فَإِذا طَارَ الطَّيرُ وَذَهَبَ نَحْوَ اليَسَارِ تَشَاءَمُوا، وَإِذَا رَجَعَ تَشَاءَمُوا، وَإِذَا تَقَدَّمَ نَحْوَ الأَمَامِ صَارَ لَهُم نَظَرٌ آخَرَ، وَكَذٰلِكَ نَحْوَ اليَمِينِ وَهَكَذَا.

وَالطِّيَرَةُ محرَّمَةٌ، لَا يجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَتَطَّيَرَ لَا بِطُيُورٍ وَلَا بِأَيَّامٍ، وَلَا بِشُهُورٍ، وَلَا بِغَيْرِهَا.

وَتَطَيَّرَ العَرَبُ فِيْمَا سَبَقَ بِشَهْرِ شَوَّالَ، إِذَا تَزَوَّجَ الإِنْسَانُ فِيْهِ، وَيَقُوْلُوْنَ: إِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ فِي شَهْرِ شَوَّالَ لَمْ يُوَفَّقْ.

فَكَانَتْ عَائِشَةُ ﵂ تَقُوْلُ: سُبْحَانَ الله، إِنَّ النَّبيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا فِي شَوَّالَ[1]، وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالَ، وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ، كَيْفَ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي يَتَزَوَّجُ فِي شَوَّالَ لَا يُوَفَّقُ؟!

وَكَانُوا يَتَشَاءَمُوْنَ بِيَوْمِ الأَرْبِعَاءِ، يَوْمُ الأَرْبِعَاءِ يَوْمٌ كَأَيَّامِ الأُسْبُوعِ، لَيْسَ فِيْهِ تَشَاؤُمٌ.

وَكَانَ بَعْضُهُم يَتَشَاءَمُ بِالوُجُوهِ، إِذَا رَأَىٰ وَجْهاً لَا يُعْجِبُهُ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُم إِذَا فَتَحَ دُكَّانَهُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ يَأْتِيهِ رَجُلٌ أَعْوَر أَوْ أَعْمَىٰ، غَلَّقَ دُكَّانَهَ، وَقَالَ: اليومَ لَا رِزْقَ فِيهِ.

وَالتَّشَاؤمُ كَما أَنَّهُ شِرْكٌ أَصْغَرُ فَهُوَ حَسْرَةٌ عَلَىٰ الإِنْسَانِ، فَيَتَأَلَّمُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ يَرَاهُ، لِكِنْ لَوِ اعْتَمَدَ عَلَىٰ الله، وَتَرَكَ هَذِهِ الخُرَافَاتِ لَسَلِمَ، وَلَصَارَ عَيْشُهُ صَافِياً سَعِيْداً.

أَمَّا قَوْلُهُ: «**وَعَلىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**» فَمَعْنَاهُ أَنَّهُم يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ الله فِي كُلِّ شَيءٍ، لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ غَيرِهِ؛ لأَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق: ٣]، وَمَنْ كَانَ الله حَسْبَهُ فَقَد كُفِيَ

(١) انظر: صحيح مسلم (١٤٢٣).

كُلَّ شَيءٍ[1].

فَللَّه مَا أَعْلىٰ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَأَرْفَعَ هَذِهِ الهِمَمَ، وَأَجَلَّ هَذِهِ المطَالِبَ، وَأَزْكىٰ تِلكَ النُّفُوسَ، وَأَطْهَرَ تِلكَ القُلُوبَ، وَأَصْفىٰ هَؤلاءِ الصَّفْوَةَ، وَأَتْقىٰ هَؤلاءِ السَّادَةَ!![2]

وَإِنَّما نَبَّهْنَا عَلَىٰ مَا في الحَدِيثِ مِنَ الكَلِماتِ الجَامِعَةِ، وَالفَوَائِدِ النَّافِعَة.

۞ ذكر الله تَعَالىٰ ۞

٧٨ عَنْ عَبدِ الله بنِ شَدَّادٍ: أَنَّ نَفَراً مِن بَنِي عُذرَةَ ثَلاَثَةً أَتَوُا النَّبيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، قَالَ: فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ يكفِنِيهِم؟**» قَالَ طَلحَةُ: أَنَا، قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلحَةَ، فَبَعَثَ النَّبيُّ ﷺ بعثاً، فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُم، فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثاً، فَخَرَجَ فِيهِم آخَرُ، فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، قَالَ طَلحَةُ: فَرَأَيتُ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الجَنَّةِ، فَرَأَيتُ المَيِّتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ أَمَامَهُم، وَرَأَيتُ الَّذِي اسْتُشهِدَ أَخِيراً يَلِيهِ، وَرَأَيتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُم آخِرَهُم! قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ: فَأَتَيتُ النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذٰلِكَ؟ لَيسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ الله مِنْ مُؤمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الإِسْلامِ، لِتَسْبِيحِهِ، وَتَكْبِيرِهِ، وَتَهلِيلِهِ**»[3].

قَوْلُهُ: «**مَنْ يَكْفِنِيهِم؟**» أَيْ مُؤنَتَهُم مِنْ طَعَامِهِم وَشَرابِهِم وَنَحْو ذٰلِكَ[4].

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (١/٣٧٨ ـ ٣٨١).

(٢) تيسير الكريم الرَّحْمَٰنِ (ص٨١٨).

(٣) رواه أحمد (١٤٠١)، وقَالَ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٦٧): «حسن صحيح».

(٤) مرقاة المفاتيح (١٠/٤٢).

قَوْلُهُ: «**فَدَخَلَني مِنْ ذٰلِكَ**»: أَي تَعَجُّبٌ أَوْ إِنْكَارٌ، يَعْني: كَانَ القِيَاسُ أَنْ يَسْتَوي الشَّهِيدَانِ فِي المرْتَبَةِ، أَوْ يَتَقَدَّمَ الأَوَّلُ لِسَبقِهِ إِلَىٰ الخَيرِ، وَيَتَأَخَّرَ عَنْهُما الثَّالِثُ الَّذِي مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ[١].

قَوْلُهُ: «**وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذٰلِكَ؟**» أَي وَأَيُّ شَيءٍ أَنْكَرْتَهُ مِنْ ذٰلِكَ. وَالمعْنىٰ: لا تُنْكِرْ شَيْئاً مِنْهُ[٢].

فَقَد دَلَّ هَذَا الحَدِيثُ العَظِيمُ عَلَىٰ عِظَمِ فَضْلِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَزَل لِسَانُهُ رَطْباً بِذِكْر الله عزَّ وجلَّ[٣].

فَهذا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَنَافَسَ بِهِ المتَنَافِسُونَ، وَيَسْتَبِقَ إِلَيْهِ العَامِلُونَ، وَيجِدَّ في تحْصِيلِهِ المجْتَهِدُونَ، وَيَرْغَبَ فِيهِ الرَّاغِبُونَ. فَهُوَ أَحَقُّ مَا أُنْفِقَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الأَنْفَاسِ، وَأَولىٰ مَا شَمَّرَ إِلَيْهِ العَارِفُونَ الأَكْياسُ، وَعَلىٰ فَوَاتِهِ فَلَيَبْكِ العَاجِزُونَ المُقَصِّرُونَ، وَعَلىٰ ضَيَاعِ العُمُرِ في غَيْرِهِ فَليَحْزَنِ المُفَرِّطُونَ.

فَالحَسْرَةُ كُلُّ الحَسْرةِ، أَنْ يَمْضِيَ عَلَىٰ الحَازِمِ وَقْتٌ مِنْ أَوْقَاتِهِ، وَهُوَ غَيرُ مَشْتَغِلٍ بِذِكْرِ الله الَّذِي يُقَرِّبُ إِلَىٰ الجَنَّةِ.

«فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَتَنَافَسَ في هَذَا المِضْمَارِ، فَإِنَّ نهَايَةَ السِّبَاقِ الجنَّةُ»[٤].

فَنَسْأَلُ الله أَنْ يُعِينَنَا عَلَىٰ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ.

---

(١) مشكاة المصابيح (١٩٦/٤٨) النسخة الهندية.

(٢) مرقاة المفاتيح (٤٣/١٠).

(٣) فضائل الكلمات الأربع (ص١٨)، للشيخ الفاضل عبد الرزاق العباد حفظه الله.

(٤) نزهة المشتاق إلىٰ جنَّة الخلاق (ص٥٠).

۞ الذكر دبر كل صلاة وعند النوم ۞

٧٩ عَنْ عَبدِ الله بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَصْلَتَانِ، أَو خُلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيهِمَا عَبدٌ مُسلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّة، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْراً، وَيَحمَدُ عَشْراً، وَيُكَبِّرُ عَشْراً، فَذٰلِكَ خَمسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمسُمِائَةٍ فِي المِيزَانِ. وَيُكَبِّرُ أَربَعاً وَثَلاَثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحمَدُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، فذٰلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ**» فَلَقَد رَأَيتُ رَسُولَ الله ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ[1]. قَالَوا: يَا رَسُولَ الله، كَيفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَن يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قَالَ: «**يَأتِي أَحَدَكُم ـ يَعنِي الشَّيطَانَ ـ فِي مَنَامِهِ فَيُنَوِّمُهُ قَبلَ أَنْ يَقُوْلَهُ، وَيَأتِيهِ فِي صَلاَتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبلَ أَنْ يَقُوْلَهُ**»[2].

وَاسْتُفِيْدَ مِنْ هَذَا الحَدِيْثِ فَوَائِدُ:

الأولىٰ: إِنَّ ذكرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَبَبٌ لِدُخُولِ العَبْدِ الجَنَّةَ.

وَالثانية: إِنَّ الحسَنَاتِ تُضَاعَفُ وَاحِدَةٌ بِعَشْرٍ أَوْ أَكْثَر.

وَالثالثة: إِنَّ الميزَانَ حَقٌّ.

والرابعة: إِنَّ عَقْدَ التَّسْبيح بِاليَدِ اليُمْنىٰ.

وَالخامسة: إِنَّ الشَّيطَانَ لَمْ يَزَل يُوَسْوِسُ للرَّجُلِ، حَتَّىٰ فِي صَلاتِهِ وَعِنْدَ نَومِهِ[3].

---

(١) اعلم رحمك الله بأنه يسنُّ عقد التسبيح بالأنامل لهذا الحديثِ، ولقول النبيِّ ﷺ: «**عليكُنَّ بالتَّسْبيحِ والتَّهليلِ والتَّقديسِ، واعْقِدْنَ بالأناملِ، فإِنَّهُنَّ مسؤولاتٌ مستنطقاتٌ، ولا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ**».

وأمَّا التسبيح بالسبحة، فهو أمر محدث. راجع: كتاب «السبحة تاريخها وحكمها»، للعلامة بكر أبو زيد حفظه الله تعالى.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٣٣).

(٣) انظر: العلم الهيب (ص٣٢٦).

فَاحْرِصْ ـ بارك الله فيك ـ عَلَىٰ المحَافَظَةِ عَلَىٰ هَاتَينِ الخَصْلَتَينِ، وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيهِ.

❁ عيادة المريض ❁

[٨٠] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضاً خَاضَ فِي الرَّحمَةِ، حَتَّىٰ إِذَا قَعَدَ اسْتَقَرَّ فِيْهَا**»(١).

وَفِي الحَدِيثِ «عِظَمُ أَجْرِ عَائِدِ المرِيْضِ، وَمَا يَنَالُهُ مِنَ الرَّحمَةِ في ذٰلِكَ»(٢).

[٨١] عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَةً، إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيهِ سَبْعُونَ أَلفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً، إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيهِ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ**»(٣).

قَوْلُهُ: «**وَكَانَ لَهُ خَرِيْفٌ في الجَنَّةِ**» أَرَادَ بِهِ: أَنَّهُ يَسْتَوجِبُ الجَنَّةَ وَمخَارِفَهَا(٤).

وَهَذا أَجْرٌ عَظِيْمٌ، وَفَضْلٌ كَبِيْرٌ، لا يَنْبَغِي للرَّجُلِ المؤمِنِ العَاقِلِ أَنْ يُفَرِّطَ فِيهِ(٥).

---

(١) رواه البخاري فِي «الأدب المفرد» (٥٢٢)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الأدب المفرد» (٤٠٧).

(٢) شرح صحيح الأدب المفرد (٢/ ١٥٥).

(٣) رواه الترمذي (٩٦٩)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن الترمذي» (٧٧٥).

(٤) شرح السنة (٥/ ٢١٨)، للبغوي رحمه الله.

(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٥٠).

٨٢ عَنْ ثَوبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَل فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**جَنَاهَا**»(١).

وَالجني: مَا يُجتَنَىٰ مِنَ الثَّمَرِ وَالرُّطَبِ وَغَيْرِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحْمَٰن: ٥٤].

وَالخُرْفَةُ: مَا يُخْتَرَفُ مِنَ النَّخِيْلِ حِينَ يُدْرَكُ(٢).

وَمَعْنىٰ هَذَا الحَدِيثِ: أَنَّ عَائِدَ المرِيضِ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ أَجْرِ العِيَادَةِ وَثَوَابِهَا المُوْصِلِ إِلَىٰ الجَنَّةِ، كَأَنَّهُ يجْتَنِي ثَمَرَاتِ الجَنَّةِ، أَوْ كَأَنَّهُ فِي مَخْرِفِ الجَنَّةِ، أَي: فِي طَرِيْقِهَا المُوْصِلِ إِلَىٰ الاخْتِرَافِ. وَسُمِّيَ الخَرِيفُ بِذٰلِكَ؛ لأَنَّهُ فَصْلٌ تُخْتَرَفُ فِيْهِ الثِّمَارُ. وَعِيَادَةُ المرِيْضِ مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ الكَثِيْرَةِ الثَّوَابُ، العَظِيْمَةِ الأَجْرُ(٣).

فَمَنْ عَادَ مَرِيْضاً مُسْلِماً، يُثَابُ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاء:

أحدها: يَنَالُ رَحْمَةَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم.

ثانيها: يُصَلِّي عَلَيهِ سَبْعُونَ أَلفَ مَلَكٍ إِذَا عَادَ صَبَاحاً حَتَّىٰ يُمْسِي، وَإِذَا عَادَ مَسَاءً حَتَّىٰ يُصْبِح.

ثالثها: يَدْخُلُ الجَنَّةَ.

رابعها: يَكُونُ لَهُ فِيْهَا ثِمَارٌ، يجتَنِيْهَا وَيَأْكُلُهَا.

«وَبَعْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيْحَةِ في بَيَانِ فَضْلِ عِيَادَةِ المَرِيضِ، وَالثَّوَابِ الَّذِي يَنَالُهُ العَائِدُ مِنْ عِيَادَتِهِ، فَلا يَنْبَغِي التَّفْرِيْطُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٨).

(٢) شرح السنة (٥/٢١٧).

(٣) المفهم لِما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٥٠).

فِيْهَا، بَل تَلزَمُ المبَادَرَةُ إِلَيْهَا، وَالمدَاوَمَةُ عَلَيْهَا»[1].

❀ زيارة الإخوان في الله ❀

[٨٣] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ أَتىٰ أَخاً لَهُ يَزُورُهُ فِي الله، إِلَّا نَادىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّماءِ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللهُ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: عَبْدِي زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَمْ أَرْضَ لَهُ بِقرًى دُوْنَ الجَنَّةِ**»[2].

هذا حَدِيثٌ صَحِيْحٌ جَلِيْلُ القَدْرِ وَكَثِيرُ الفَائِدَةِ، وَهُوَ حَسَنُ الأَلفَاظِ لَطِيْفُ المعْنىٰ. وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ أَجْرٍ عَظِيمٍ، وَتِجَارَةٍ رَابِحَةٍ، نَحْنُ عَنْ فَضْلِهَا غَافِلُونَ.

فَمَنْ زَارَ أَخاً لَهُ في الله ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله، فَإِنَّ الله سبحانه وتعالى يَقُولُ في مَلَكُوتِ عَرْشِهِ ـ وَكَلامُهُ البَلِيغُ الوَجِيْزُ ـ: **عَبْدِي زَارَ فِيَّ، وَعَليَّ قِرَاهُ، فَلَمْ أَرْضَ لَهُ بِقرًى دُونَ الجَنَّةِ.**

إِنَّهُ النِّدَاءُ الدَّالُّ عَلَىٰ مَكَانَةِ التَّزَاورِ في الله عِنْدَ الرَّبِّ الكَرِيمِ سبحانه وتعالى.

إِنَّهُ النِّدَاءُ الَّذِي يُرَغِّبُ في هَذِهِ الخصْلَةِ العَظِيمَةِ، لِيُسَارِعَ النَّاسُ إِلَيْهَا وَيَتَنَافَسُوا عَلَيْهَا.

فَمَا أَشْرَفَ مَنْ أَكْرَمَهُ المولىٰ الكَرِيمُ.

وَمَا أَعْلىٰ مَنْ مَدَحَهُ في كَلامِهِ العَظِيمِ.

وَمَا أَسْعَدَ مَنْ خَصَّهُ بِالتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ.

---

(١) كتاب الآداب (ص٢٤٨)، للشيخ فؤاد بن عبد العزيز الشَّلهُوب حفظه الله.

(٢) رواه أبو يعلىٰ فِي مسنده (٤١٤٠)، والبزّار (١٩١٨ ـ «كشف الأستار»). وصححه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٢٦٣٢).

وَمَا أَقْرَبَ مَنْ أَهَّلَهُ لِلفَوْزِ وَالتَّقْدِيم.

وَمَا أَجلَّ مَنْ أَثْنىٰ عَلَيهِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ.

فَانَظُرْ يَا أَخِي ـ وَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكَ ـ إلىٰ عَظِيْمِ فَضْلِ الله عزَّ وجلَّ، وَتَأَمَّل هَذِهِ الأَلْفَاظ: **«عَبْدِي زَارَ فيَّ، وَعَليَّ قِرَاهُ»**.

وَأَيُّ ضِيَافَةٍ أَجَلُّ، وَأَكْبَرُ، وَأَعْظَمُ، مِنْ هَذِهِ الضِيَافَةِ... فَلِلَّه تِلكَ الضِيَافَة، مَا أَجلَّهَا وَأَجملَهَا، وَأَدْوَمَهَا، وَأَكْمَلَهَا!![1]

فَهَل يَلِيْقُ بِالمؤْمِنِ أَنْ يَعْلَمَ بِهَذَا الفَضْلِ العَظِيْمِ، وَالثَّوَابِ الجزِيلِ، ثُمَّ لا يُقْبِلُ وَلا يَسْتَجِيْب؟! إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَاب.

فَاحْرِصْ ـ بارك الله فيك ـ عَلَىٰ هَذِهِ الخَصْلَةِ الجَلِيلَةِ، يَكُنْ ذٰلِكَ مُدَّخَراً لَكَ فِي مِيْزَانِ حَسَنَاتِكَ، وَمُوصِلاً إِلَىٰ الجَنَّةِ.

[٨٤] عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إذا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ، قَالَ الله لَهُ: طِبْتَ وَطَابَ ممشَاكَ، وَتبَوَّأتَ مَنْزِلاً فِي الجَنَّة»**[2].

«إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ»: أَيْ: مَرِيضاً.

«أَوْ زَارَهُ» أَيْ: صَحِيحاً، فـ(أَوْ) لِلتَّنْوِيعِ؛ وَالعِيَادَةُ تُسْتَعْمَلُ غَالِباً فِي المرَضِ، وَالزِّيَارَةُ فِي الصِّحَّةِ.

«قَالَ الله لَهُ: طِبْتَ»: صِرْتَ طَيّبَ العَيْشِ فِي الآخِرَةِ، أَوْ حَصَلَ لَكَ طِيْبُ عَيْشٍ فِيْهَا.

---

(١) تيسير الكريم الرَّحْمَٰنِ (ص٦٧١ ـ ٦٧٢).

(٢) رواه البخاري فِي «الأدب المفرد» (٣٤٥)، وحسنه الألباني رحمه الله فِي «صحيح الأدب المفرد» (٢٦٢).

«**وَطَابَ ممْشَاكَ**»: كِنَايَةٌ عَنْ سَيرِهِ وَسُلُوكِهِ طَرِيْقَ الآخِرَةِ بِالتَّعَرِّي عَنْ رَذَائِلِ الأَخْلاقِ، وَالتَّحَلِّي بِمَحَاسِنِ الأَفْعَالِ وَمَكَارِمِهَا[1].

«**وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلاً فِي الجَنَّةِ**»: أَيْ: هُيِّئَتَ مِنْهَا بِهَذِهِ العِيَادَةِ مَنْزِلَةً عَظِيْمَةً وَمَرْتَبَةً جَسِيْمَةً، فَإِنَّ إِدْخَالَ السُّرُورِ فِي قَلبِ المؤْمِنِ أَجْرُهُ عَظِيْمٌ وَثَوَابُهُ جَزِيْلٌ، لَا سِيَّمَا وَالعِيَادَةُ فِيْهَا مَوْعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، وَتَذْكِرَةٌ وَتَنْبِيهٌ عَلَىٰ اغْتِنَامِ الصِّحَّةِ وَالحَيَاةِ، وَرَفْعِ الهُمُومِ الزَّائِدَةِ، نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ وَحُسْنَ الخَاتِمَةِ[2].

وَفي الحَدِيثِ فَضْلُ عِيَادَةِ المرِيضِ، وَالزِّيَارَةِ فِي اللهِ ﷻ، وَسَعَةِ رَحمَةِ اللهِ تَعَالىٰ.

وَفِيْهِ كَلامُ اللهِ تَعَالىٰ لِلعَبْدِ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ؛ إِخْبَاراً بِمَا أَعَدَّ لَهُ فِي الجَنَّةِ[3].

۞ السهولة في البيع والشّراء والقضاء ۞

٨٥ عَنْ عُثمَانَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَدْخَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ الجَنَّةَ رَجُلاً كَانَ سَهْلاً، مُشْتَرِياً وَبَائِعاً، وَقَاضِياً وَمُقْتَضِياً**»[4].

السُّهُولَةُ فِي الشِّرَاء: أَلَّا يُلِحَّ عَلَىٰ البَائِعِ فِي تخفِيضِ الثَّمَنِ، وَأَلَّا يُحَلِّفَهُ عَلَىٰ أَنَّ ثَمَنَ البِضَاعَةِ كَذَا وَكَذَا، وَنَحْوُ هَذَا ممَّا يدخلُ بِهِ عَلَىٰ البَائِعِ ضِيْقٌ وَضَجَرٌ، وَإِنَّما يَنْظُرُ البِضَاعَةَ الَّتي يُرِيْدُهَا،

---

(١) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (٤٤/ ١٣٥).

(٢) مرقاة المفاتيح (٩/ ٢٥٥)، بتصرف يسير.

(٣) شرح صحيح الأدب المفرد (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٤) رواه أحمد (١/ ٥٨ و٦٧ و٧٠) (٤١٠ و٤١٤ و٤٨٥ و٥٠٨)، والنسائي (٤٦٩٦)، وابن ماجه (٢٢٠٢). وحسنه الألباني ﵀ فِي «صحيح الجامع» (٢٤٣).

وَيَتَأَكَّدُ مِنْ صَلاحِيَّتِهَا، ثُمَّ يُعْطِي البَائِعَ الثَّمَنَ الَّذِي يَرَاهُ مُنَاسِباً لها، فَإِنْ رَضِيَ فَذَاكَ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ وَرَأىٰ أَنَّهَا تَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ الثَّمَنِ، زَادَهُ بِقَدْرِ مَا تَسْتَحِقُّ فِي نَظَرِهِ، وَإِلَّا تَرَكَهُ وَذَهَبَ لِغَيرِهِ.

وَالسُّهُولَةُ فِي البَيْعِ: أَلَّا يُقَابِلَ البَائِعُ المشْتَرِي بِوَجْهٍ عَبُوسٍ، وَأَلَّا يُغلِّي سِعْرَ البِضَاعَةِ، وَأَنْ يَقْنَعَ بِالرِّبْحِ المعْقُولِ.

وَالسُّهُولَةُ فِي القَضَاءِ: أَنَّ المَدِينَ يَرُدُّ الدَّينَ فِي مِيعَادِهِ، وَلَا يُؤَخِّرُهُ إِنْ كَانَ قَادِراً، لِأَنَّ تَأْخِيرَهُ حَرَامٌ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ**»[1]. وَإِذَا رَدَّ الدَّيْنَ، شَكَرَ صَاحِبَهُ وَدَعَا لَهُ.

وَالسُّهُولَةُ فِي الاقْتِضَاءِ: أَنْ يَطْلُبَ الدَّائِنُ دَيْنَهُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ، مِنْ غَيْرِ تَعْنِيْفٍ وَلَا تَثْرِيبٍ، وَأَلَّا يُخْجِلَهُ أَمَامَ النَّاسِ. نَعَمْ إِنْ تَحَقَّقَ أَنَّ المَدِينَ يَمْطُلُهُ مَعَ اسْتِطَاعَتِهِ الأَدَاءَ، فَلَهُ أَنْ يُعَنِّفَهُ وَيُؤَنِّبَهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً**»[2]، وَلِقَوْلِهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ**»[3] أَيْ: امْتِنَاعُ المُسْتَطِيعِ مِنْ قَضَاءِ مَا عَلَيْهِ، يُبِيحُ تَعْنِيفَهُ وَتَأْدِيبَهُ[4].

فَيَنْبَغِي عَلَىٰ الإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ سَهْلاً فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ الأَرْبَعَةِ.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٨٧ و٢٢٨٨ و٢٤٠٠)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٣٠٦ و٢٣٩٠ و٢٤٠١ و٢٦٠٦)، ومسلم (١٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٢٨) من حديث الشَّريد بن سُوَيد رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣٠٨٦).

(٤) تمام المنة (ص٣٨ ـ ٣٩).

❁ البَرَاءَةُ مِنَ الكِبَرِ وَالغُلول والدَّين ❁

[٨٦] عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الجَسَدَ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاَثٍ، دَخَلَ الجَنَّةَ: مِنَ الكِبرِ وَالغُلُولِ وَالدَّينِ**»[١].

«**الكِبْرُ**»: هُوَ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ، هَكَذَا عَرَّفَهُ النَّبيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢]. وبَطَرُ الحَقِّ: رَدُّهُ وَدَفْعُهُ، وَغَمْطُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُم وَازْدِرَاؤُهُم. «فَهُوَ فِي نَفْسِهِ عَالٍ عَلَىٰ الحَقِّ، وَعَالٍ عَلَىٰ الخَلْقِ، لَا يَلِينُ لِلْحَقِّ، وَلَا يَرْحَمُ الخَلْقَ وَالعِيَاذُ بِالله. فَهَذِهِ عَلَامَاتُ أَهْلِ النَّارِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِيذَنَا وَإِيَّاكُم مِنَ النَّارِ، وَأَنْ يُدْخِلَنَا وَإِيَّاكُمُ الجَنَّةَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ»[٣].

«**وَالغُلُول**»: السَّرِقَةُ مِنَ الغَنِيمَةِ فِي الجِهَادِ.

«**وَالدَّين**»: ضُمَّ الدَّينُ مَعَ أَقْبَحِ الجنَايَاتِ ـ أَيْ الغُلُول ـ وَأَشْنَعِ الأَخْلاقِ ـ أَي الكِبْر ـ دِلالَةً عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْهُما. وَهُوَ دَيْنٌ لَزِمَهُ بِاخْتِيَارِهِ، وَلَمْ يَنْوِ أَدَاءَهُ[٤].

وَفي هَذَا الحَدِيثِ التَّحْذِيرُ مِنَ التَّسَاهُلِ في الدَّيْنِ، وَأَنَّهُ لا يَنْبَغي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَسَاهَلَ في الدَّينِ وَلا يَسْتَدِينَ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَلَيسَ عِنْدَ الحَاجَةِ، إِنَّما عِنْدَ الضَّرُورَةِ القُصْوَىٰ[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤١٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٩٥٦).

(٢) هُوَ في «صحيح مسلم» (٩١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٨).

(٤) شرح الطِّيبي عَلَىٰ المشكاة (٧/ ٢١٨٠).

(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨).

وَيُفْهَمُ مِنْ هذا الحَدِيثِ «أَنَّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَيْسَ بَرِيئاً مِنْ هَذِهِ الثَّلاثِ، لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ»(١).

۞ الموت دون المال ۞

٨٧ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ مَظْلُوماً فَلَهُ الجَنَّةُ**»(٢).

يَعْنِي: إِذَا أَتَاكَ أَحَدٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِكَ، فَدَافَعْتَ عَنْهُ حَتَّىٰ قُتِلْتَ، فَأَنْتَ شَهِيْدٌ.

وَفي الحَدِيثِ الآخَرِ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالي؟ قَالَ: «**فَلا تُعْطِهِ مَالَكَ**»، قَالَ: أَرأَيتَ إِنْ قَاتَلَني، قَالَ: «**قَاتِلْهُ**»، قَالَ: أَرَأَيت إِنْ قَتَلَني؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»(٣).

فَدَلَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الإِنْسَانَ يُدَافِعُ عَنْ مَالِهِ إِذَا جَاءَ أَحَدٌ يُرِيدُ أَخْذَ المَالِ، فَإِنَّكَ تُدَافِعُ، فَإِذا لَمْ يَنْدَفِعْ إِلَّا بالقَتْلِ فَاقْتُلْهُ، وَإِنِ انْدَفَعَ دُونَ ذٰلِكَ فَلا تَقْتُلْهُ، يَعْنِي لَوْ أَمْكَنَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ أَقْوىٰ مِنْهُ، وَتَشُدَّ يَدَيهِ وَرِجْلَيهِ، وَتَأْسُرَهُ فَلا تَقْتُلْهُ؛ لِأَنَّ لَا حَاجَةَ لِقَتْلِهِ، وَلَا حَاجَةَ لِلْمُقَاتَلَةِ، يَعْنِي لَوْ جَاءَ إِلَيكَ يَسْعىٰ يَشْتَدُّ وَمَعَهُ سِلاحٌ قَدْ شَهَرَهُ فَاقْتُلْهُ؛ لأَنَّكَ إِنْ لَمْ تُبَادِرْهُ قَتَلَكَ، فَإِذا قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ فِي النَّارِ، وَإِنْ قَتَلَكَ هُوَ فَأَنْتَ شَهِيْدٌ.

---

(١) تحفة الأحوذي (٥/ ١٦٢).

(٢) رواه النسائي (٤٠٨٦)، وصححه الألباني رحمه الله فِي «صحيح سنن النسائي» (٣٨٠٨).

(٣) رواه مسلم (١٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالىٰ أَنْ يُعِيْذَنَا وَإِيَّاكُم مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ[1].

❁ ست خصال ❁

[٨٨] عَنْ أَنَسِ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَقَبَّلُوا لي بِستٍ أَتَقَبَّلْ لَكُمُ الجَنَّةَ**»، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «**إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُم فَلا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلا يُخْلِفْ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ فَلا يَخُنْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيدِيَكُم، وَاحْفَظُوا فُرُوْجَكُمْ**»[2].

هذا الحَدِيثُ مِنْ أَعْظَمِ الأَحَادِيثِ نَفْعاً، وَأَمْكَنِهَا فِي القُلُوبِ وَقْعاً، يَنْبَغي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ لَا يَزَالَ عَلَيهِ محَافِظاً، فَقَد رَغَّبَ فِي مُنْجِيَاتِ الخِصَالِ، وَبَعَثَ عَلَىٰ صَالحَاتِ الأَعْمَالِ، وَدَلَّ عَلَىٰ محَاسِنِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ.

«فَقَد كَفَلَ بِالجَنَّةِ لمنْ أَتىٰ بِهَذِهِ السِّتِ خِصَالٍ. فَالثَّلاثَةُ الأُولىٰ تُبَرِّئُهُ مِنَ النِّفَاقِ، وَالثَّلاثَةُ الأُخْرَىٰ تُبَرِّئُهُ مِنَ الفُسُوقِ، وَالمخَاطَبُونَ مُسْلِمُونَ، فَإذا لَمْ يَكُنْ مُنَافِقاً كَانَ مُؤْمِناً، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَاسِقاً كَانَ تَقِيّاً فَيَسْتَحِقُّ الجَنَّةَ»[3].

❁ أربع خصال ❁

[٨٩] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِماً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ**

---

(١) شرح رياض الصَّالحين (٣/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥).
(٢) رواه الحاكم (٤/ ٣٥٩) (٨٠٦٧)، وحسّنهُ المحدّث الألباني رحمه الله فِي «الصَّحيحة» (٣/ ٤٥٥).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٣٩٧).

اليَومَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَومَ مِسْكِيناً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَومَ مَرِيضاً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[1].

قَالَ العَلاَّمَةُ الأَلْبَانيُّ ﵀: فِيْهِ فَضِيْلَةُ أَبي بَكْرٍ الصِّديق ﵁، وَالبِشَارَةُ لَهُ بِالجَنَّةِ، وَالأَحَادِيثُ فِي ذٰلِكَ كَثِيْرَةٌ طَيِّبَةٌ.

وَفِيْهِ فَضِيْلَةُ الجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الخِصَالِ فِي يَوم وَاحِدٍ، وَأَنَّ اجْتِمَاعَهَا فِي شَخْصٍ بَشِيْرٌ لَهُ بِالجَنَّةِ، جَعَلنَا اللهُ مِنْ أَهْلِهَا[2].

فَيَنْبَغِي «لِلإِنْسَانِ العَاقِلِ الحَازِمِ المؤْمِنِ أَنْ يَنْتَهِزَ سُبُلَ الخَيرِ، وَأَنْ يحرِصَ غَايَةَ الحرْصِ عَلَىٰ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا بِنَصِيبٍ، حَتَّىٰ يَكُونَ ممَّنْ سَارَعَ في الخَيرَاتِ»[3].

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨).

(٢) السلسلة الصَّحيحة (١/ ١٧٩).

(٣) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٥١).



خصال متفرقة

٩٠ عَـنْ أَبِـي أَيُّـوبَ الأَنْـصَـارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُـلاً قَـالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**تَعبُدُ اللهَ لَا تُشرِكُ بِهِ شَيئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»(١).

فَقَدْ ذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَسْبَاباً «تُدْخِلُ الإِنْسَانَ الجَنَّةَ وَتُبَاعِدُهُ عَنِ النَّارِ.

وَلا شَكَّ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَسْعَىٰ إِلَىٰ هَذَا الكَسْبِ العَظِيْم؛ أَنْ يَنْجُوَ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَإِنَّ مَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَاز، وَكُلُّ مُسْلِمٍ يَسْعىٰ إِلَىٰ ذٰلِكَ، وَهذا يحصُلُ بهَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ»(٢):

الأَول: تَعْبُدُ الله. وَالعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله وَيَرْضَاهُ؛ مِنَ الأَقْوالِ وَالأَعْمالِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَقَيَّدَ ذٰلِكَ بَعَدَمِ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجامِعَهُ الشِّرْكُ، وَمَا أَكْثَرَ ما يَقَعُ النَّاسُ فِي ذٰلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

الثاني: «تُقِيْمُ الصَّلاةَ، وَتَأْتي بها كَامِلَةً فِي أَوْقَاتِهَا مَعَ الجَمَاعَةِ إِنْ كُنْتَ رَجُلاً، وَدُوْنَ الجَمَاعَةِ إِنْ كَانَتِ امْرَأَة.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٢ و٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).
(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٤٣).

الثَّالثُ: تُؤتي الزَّكَاةَ؛ بِأَنْ تُؤَدِيَ مَا أَوْجَبَ الله عَلَيكَ مِنَ الزَّكَاةِ فِي مَالِكَ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّهِ»[1].

الرابع: تَصِلُ الرَّحِمَ، وَالرَّحِمُ الَّتي تُوصَلُ: عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ.

فَالعَامَّةُ رَحِمُ الدِّينِ، وَتجِبُ مُوَاصَلَتُهَا بِالتَّوَادُدِ وَالتَّنَاصُحِ وَالعَدْلِ وَالإنْصَافِ، وَالقِيَامِ بِالحُقُوقِ الوَاجِبَةِ وَالمسْتَحَبَّةِ.

وَأَمَّا الرَّحِمُ الخَاصَّةُ، فَتَزِيدُ النَّفَقَةَ عَلَىٰ القَرِيبِ وَتَفَقُّدَ أَحْوَالِهِم، وَالتَّغَافُلَ عَنْ زَلَّاتِهِم[2].

[٩١] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَخطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا الله رَبَّكُم، وَصَلُّوا خَمسَكُم، وَصُومُوا شَهْرَكُم، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَموَالِكُم، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُم، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُم**»[3].

قَالَ العَلاَّمَةُ ابنُ عثيمين ﷺ: فَهذِهِ الأُمُورُ الَّتي أَوْصىٰ بِهَا النَّبيُّ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، مِنَ الأُمُورِ الهَامَّةِ الَّتي يجبُ عَلَىٰ الإنْسَانِ أَنْ يَعْتَنيَ بِهَا، وَأَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ فِيْهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ[4].

[٩٢] عَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٤٣).

(٢) شرح صحيح الأدب المفرد (١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٣) رواه الترمذي (٦١٦)، وصححه الألباني ﷺ فِي «صحيح سنن الترمذي» (٥٠٢).

(٤) شرح رياض الصَّالحين (١/ ٣٦٨).

(٥) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

حَدِيْثُ عُبَادَةَ: حَدِيْثٌ عَظِيمٌ، جَلِيْلُ الشَّأْنِ، مِنْ أَجْمَعِ الأَحَادِيثِ لأُصُولِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِهِ؛ لِأَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله، فِيْهَا الإِلٰهِيَّاتُ؛ وَهِيَ: الأُصُولُ الثَّلاثَةُ، تَوْحِيْدُ الإِلٰهِيَّةِ، وَتَوْحِيْدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيْدُ الأَسْماءِ وَالصِّفَاتِ؛ وَهَذِهِ الأُصُولُ: تَدُورُ عَلَيهَا أَدْيَانُ الرُّسُلِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم؛ وَهِيَ الأُصُولُ العِظَامُ الكِبَارُ، الَّتي دَلَّتْ عَلَيْهَا، وَشَهِدَتْ بِهَا: العُقُولُ، وَالفِطَرُ.

وَفي شَهَادَةِ: «**أَنَّ محمَّداً رَسُولُ الله**» الإيمانُ بهِ، وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ، لما بَيْنَهُما مِنَ التَّلازُمِ، وَكَذٰلِكَ الإِيمانُ بِالكُتُبِ، الَّتي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ.

وَفي شَهَادَةِ: «**أَنَّ عِيْسىٰ عَبْدُ الله**» رَدٌّ عَلَىٰ النَّصارىٰ، وَإِبْطَالُ مَذْهَبِهِم.

وَفي قَوْلِهِ: «**وَرَسُولُهُ**» رَدٌّ عَلَىٰ اليَهُودِ، وَتَكْذِيْبِهِم، بِمَا نَسَبُوهُ إِلَىٰ عِيسىٰ وَأُمِّه[1].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ**» أَي: وَجَّهَهَا إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: كُنْ فَيَكُون، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩**﴾ [آل عمران: ٥٩][2].

وَفي قَوْلِهِ: «**رُوْحٌ مِنْهُ**» كَشْفُ شُبْهَةِ النَّصَارَىٰ، القَائِلِيْنَ بِإِلٰهِيَّةِ عِيْسىٰ، وَأَنَّهُ مِنْ ذَاتِ الله، لِأَنَّ فِي هَذَا الحَدِيْثِ، أَنَّهُ رُوْحٌ مِنْ جُمْلَةِ الأَرْوَاحِ المخْلُوقَةِ وَالمُحْدَثَةِ، فَهُوَ مِنْهُ خَلْقاً، وَإِيجاداً، وَلَيْسَ مِنْ ذَاتِهِ، كَمَا قَالَتِ النَّصارىٰ؛ وَمِثْلُهُ، قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

(١) الدُّرَرُ السَّنِيَّة فِي الأجوبة النجدية (١/ ٥٠٨).

(٢) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ٦٩).

﴿ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: ١٣](١). «فَلا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالأَنْهَارَ جُزْءٌ مِنَ الله، وَهَذا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.

فَقَوْلُهُ «**مِنْهُ**» أَيْ: رُوْحٌ صَادِرَةٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، وَلَيْسَتْ جُزْءاً مِنَ الله كَمَا تَزْعُمُ النَّصَارَىٰ»(٢).

وَفي قَوْلِهِ: «**وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ**» الإِيْمانُ بِالوَعْدِ، وَالوَعِيْدِ، وَالجَزاءِ بَعْدَ البَعْثِ؛ وَفِيْهِ: الإيمانُ بِالسَّاعَةِ؛ وَفِيْهِ الإِيْمَانُ بِالبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ، وَأَنَّ ذٰلِكَ لِحِكْمَةٍ، وَهِيَ: ظُهُورُ مُقْتَضَىٰ أَسْمَائِهِ الحُسْنىٰ، وَصِفَاتِهِ العُلىٰ، مِنْ إِثَابَةِ أَوْلِيَائِهِ، وَكَرَامَتِهِم؛ وَعِقَابِ أَعْدَائِهِ، وَإِهَانَتِهِم؛ وَظُهُورُ حمْدِهِ، وَاعْتِرَافُ جمِيْعِ خَلْقِهِ لَهُ بِهِ(٣).

٩٣ عَنْ عَبدِ الله بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «... **فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ، الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَىٰ إِلَيهِ**»(٤).

انْظُرْ أَيُّهَا المُتَأَمِّلُ في هذهِ الأَلْفَاظِ القَلِيلَةِ، المُسْتَقِلَّةِ بِالمَعَاني الجَمَّةِ الجَلِيْلَةِ، وَاشْهَدْ لَهُ أَنَّهُ ﷺ أُوتِيَ كُنُوزَ الحِكْمَةِ، وَفَصْلَ الخِطَابِ(٥).

وَقَدِ اشْتَمَلَ هذا الحَدِيثُ عَلَىٰ المَطَالِبِ العَزِيزَةِ، وَالمَقَاصِدِ السَنِيَّةِ.

---

(١) الدُّرَرُ السَّنِيَّة فِي الأجوبة النجدية (١/ ٥٠٨).
(٢) القول المفيد عَلَىٰ كتاب التوحيد (١/ ٧١).
(٣) الدُّرَرُ السَّنِيَّة فِي الأجوبة النجدية (١/ ٥٠٩).
(٤) قطعة من حديث رواه مسلم (١٨٤٤).
(٥) شرح الطيبي عَلَىٰ المشكاة (١/ ٤٤١).

والاسْتِفْهَامُ المَذْكُورُ في الحَدِيثِ لِلتَّشْويقِ، وَلا شَكَّ أَنَّ مَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ، وَأَنَّ هَذِهِ غَايَةٌ يَسْعَىٰ إِلَيْهَا جمِيْعُ المُؤمِنِينَ.

قَـــــالَ الله ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وَلله دَرُّ القَائِلِ:

لَيْسَ السَّعِيْدُ الَّذِي دُنْيَاهُ تُسْعِدُهُ ... إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

فَذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدَيثِ لِدُخُولِ الجَنَّةِ سَبَبَينِ:

الأَول: الإِيمَانُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ.

فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ دَائِماً عَلَىٰ ذِكْرِ الإِيْمَانِ بِاللهِ وَاليَوم الآخِرِ وَتَذَكُّرِهِ؛ لأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَتىٰ يَأْتِيهِ الموْتُ، فَلْيَكُنْ دَائِماً نُصْبَ عَيْنَيهِ الإِيْمانُ بِالله وَاليَوم الآخِرِ. فَالإِنْسَانُ إِذَا آمَنَ بِاللهِ عزَّ وجلَّ وَبِمُقْتَضَىٰ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَآمَنَ بِاليَومِ الآخِرِ وَمَا فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَقِيْمَ عَلَىٰ دِينِ الله.

الثاني: مُعَامَلَةُ النَّاسِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ، فَلا يُؤْذِيهم، لأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْذُوهُ؛ وَلَا يَعْتَدِي عَلَيهِم، لأَنَّهُ لَا يحبُّ أَنْ يَعْتَدُوا عَلَيْهِ؛ وَلَا يَشْتِمَهُم، لأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَشْتِمُوهُ؛ وَهَلُمَّ جَرّا. لَا يَغُشُّهُم فِي البَيعِ وَالشِّرَاءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ، وَلَا يَكْذِبُ عَلَيْهِم؛ لأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ ذٰلِكَ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ لَوْ أَنَّ النَّاسَ مَشَوْا عَلَيْهَا فِي التَّعَامُلِ فِيْمَا بَيْنَهُم، لَنَالُوا خَيراً كَثِيْراً، وَيُشْبِهُ هَذَا قَولَ الرَّسُولِ ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1]. وهذا مِنْ أَصْعَبِ الأُمُورِ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ.

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه.

وَلَكِنْ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ، أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الاتِّصَافِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، مَا أَمْكَنَ.

فَالجُمْلَةُ الأُولىٰ: فِيْهَا القِيَامُ بِحَقِّ الله.

وَالجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ: فِيْهَا القِيَامُ بِحَقِّ الخَلْقِ[1].

«فَمَنْ فَهِمَ هَذا الحَدِيثَ حَقَّ الفَهْمِ، وَتَدَبَّرَهُ كُلِّيَّةَ التَدبُّرِ»[2]، قَامَ بِالحَقَّينِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُمِيتَنا عَلَىٰ ذٰلِكَ[3].

فَهذا آخِرُ ما تَيَسَّرَ إِيرَادُهُ مِنَ الأَحَادِيثِ المُتَعَلِّقَةِ بِالخِصَالِ الموجِبَةِ لِدُخُولِ الجنَّةِ، «وَبِها يَتِمُّ مَقْصُودُ الكِتَابِ، وَيَصِلُ مِنْهُ إلى الغَرَضِ المطْلُوبِ أُولوا الألبَابِ؛ فَإِنَّ فِيهِ الفَوَائِدَ الرَّاقِيَةَ، وَالمَقَاصِدَ السَّامِقَةَ، وَالحَقَائِقَ العَلِيَّةَ، وَالدَقَائِقَ السنِيَّةَ»[4]. ما يروي الغَليلَ، ويَشْفي العليلَ، وعلى الله أعْتَمِدُ فيما أقْصدُ، فهو حسبي ونعم الوكيلُ.

«وَللهِ الحَمْدُ عَلَىٰ جَزِيلِ الإنْعَامِ، عَلَىٰ تَعَاقُبِ الأَعْوامِ وَالأيّامِ»[5].

---

(١) انظر: بهجة قلوب الأبرار (ص١٨٧ ـ ١٨٨)، وشرح رياض الصَّالحين (٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) الفتح الرباني (٣٦/ ١٣٥).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٦٢).

(٤) شرح الباقيات الصالحات (ص٤٢)، للعلامة ابن الأقليشي الأندلسي.

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٩٤).

الخاتمـة

الحمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لهَذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا الله، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ.

وَبَعْدُ: فَهَذَا مَا تَيَسَّرَ جَمْعُهُ مِنَ الخِصَالِ الموْجِبَةِ لِدُخُوْلِ الجَنَّةِ. وَقَد اشتَمَلَتْ عَلَىٰ «فَوَائِدَ كَثِيرَةِ النَّفْعِ، جَلِيلَةِ القَدْرِ لِمَنْ فَهِمَهَا حَقَّ فَهْمِهَا، وَتَدَبَّرَهَا كَمَا يَنْبَغِي»[1].

أَلا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُوْنَ، وَلْيَتَنَافَسِ المتَنَافِسُونَ، وَلْيَبْذُلِ المجْتَهِدُوْنَ جَهْدَهُم للاتِّصَافِ بِهَذِهِ الخِصَالِ، وَيَسْتَعِينُوا بِرَبِّ العَالمِينَ فِي العَمَلِ بِهَا؛ فَمَا خَابَ مَنِ اسْتَعَانَ بِرَبِّ العِبَادِ، وَمَا نَجَحَ مَنْ نَجَحَ إِلَّا بِالقِيَامِ بِهَذِهِ الأَعْمَالِ، وَبِهَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَصَلاحُ الأَحْوَالِ. وَذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ، وَالكَرَمِ العَمِيْمِ.

وَحَقِيْقٌ بِخِصَالٍ هَذَا شَأْنُهَا، أَنْ تُنْفَقَ نَفَائِسُ الأَنْفَاسِ عَلَيْهَا، وَيَسْتَبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيْهَا، وَتُوَفَّرَ لهَا الأَوْقَاتُ، وَتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا الطَّلَبَاتُ.

نَسْأَلُ اللهَ البَرَّ الرَّحِيمَ ﷻ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِالعَمَلِ بِهَذِهِ الخِصَالِ، وَمَا ذٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ بِعَزِيْزٍ، وَأَنْ لا يجعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ لا نَصِيْبَ لهُمْ في هَذَا الأَمْرِ إِلَّا وَصْفٌ وَسَمَاعٌ وَتَمَنٍّ بِلا انْتِفَاعٍ، وَأَنْ لا يجْعَلَ مَا تَعَلَّمْنَاهُ مِنَ العِلْمِ حُجَّةً عَلَيْنَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا جمِيْعاً لِلْعَمَلِ بِذٰلِكَ

(١) قطر الولي على حديث الولي (ص١٧)، للعلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ.

وَالقِيَامِ بِهِ، كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ.

يَسَّرَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِلْيُسْرَى، وَجَعَلَنَا مِمَّنْ ذُكِّرَ فَانْتَفَعَ بِالذِّكْرَى.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ.

❁ ❁ ❁



الفهرس

فرصة للاستثمار

عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسُولُ اللهُ ﷺ: «**إذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» [رواه مسلم (١٦٣١)].

فَإذَا عَلِمَ الإنْسَانُ ـ وَإنْ بَالَغَ فِي الجِدِّ ـ بِأَنَّ المَوْتَ يَقْطَعُهُ عَنِ العَمَلِ، عَمِلَ فِي حَيَاتِهِ مَا يَدُومُ لَهُ أَجْرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَمِنْ هَذَا المُنْطَلَق: فَإنَّنَا نَدْعُوكُمْ للمُسَاهَمَةِ في طَبْع هذا الكِتَابِ، وأَنْتُم بِحَمْدِ الله تُحِبُّونَ الخَيْرَ، وَتَحْرِصُونَ عَلَيْهِ، وَتُسَارِعُونَ إلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ أَهَمّ الخَيْرَاتِ، وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَقَدْ أُهِّلْتُمْ لَهُ، وَسَاقَهُ اللهُ إلَيْكُمْ، وَهُوَ فَضْلٌ مِنَ الله، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فمَا فَعَلْتُمُوهُ وَجَدْتُموهُ عِنْدَ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

فَنَسْأَلُهُ تَعَالىٰ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُم لمرَاضِيهِ،
وَيجعَلَ مُسْتَقْبَلَ حَالِنَا وَحَالِكُمْ خيراً مِنْ مَاضِيْهِ.

الكنز الثمين

عَنْ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«يا شَدَّادَ بنَ أَوسٍ! إِذا رَأَيتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ؛ فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ:

اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ على الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَليماً، وَلِسَاناً صَادِقاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ؛ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ» [رواه الطبراني في «الكبير» (٧١٣٥)، وجوَّد إسناده العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٢٢٨)].